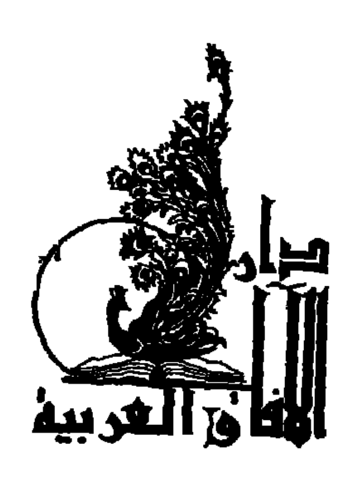
المفاخرات [٤]

نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار

المارديني - اليماني - المقدسي

تحقيق

محمد الششتاوي



نور النهار

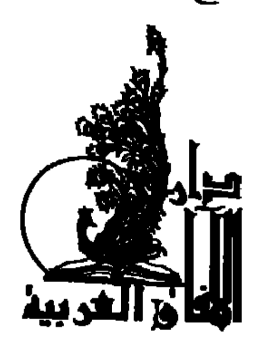
في مناظرات

الورود والرياحين والأزهار

المارديني - اليماني - المقدسي

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع الطيران) - مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٩٣ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولى : 977-5727-38-3

المفاخرات [٤]

نور النهار

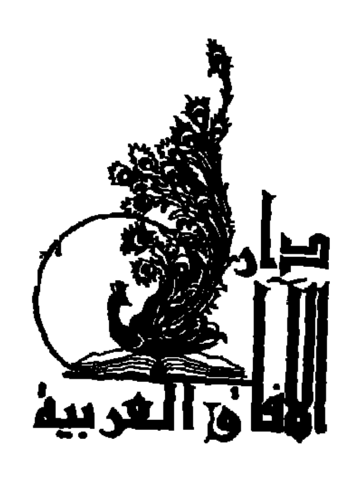
في مناظرات

الورود والرياحين والأزهار

المارديني - اليماني - المقدسي

تحقيق

محمد الششتاوي



مقدمة

بدأت المناظرة أولا كعلم يبحث فى الشئون الفقهية والدينية والعلمية، وكان لهذا العلم أصوله وآدابه ومنهجه العلمى، وكان الغرض منه الوصول إلى الحق والصواب.

ثم سرعان ما انتقلت المناظرة إلى نواحى أدبية بحته حولتها إلى مفاخرة ساخرة. ولكى تحقق المناظرة غرضها كان لابد لها من ثلاثة شروط، أولها أن يجمع بين خصمين متضادين أو متباينين فى صفاتهما بحيث تظهر خواصهما بالمقابلة كالصيف والشتاء، والربيع والخريف، والماء والهواء، الشرط الثانى أن يأتى كل من الخصمين فى نصرته لنفسه وتفنيد مزاعم منافسه بأدلة من شأنها أن ترفع قدره وتحط من مقام الخصم، والشرط الثالث أن تصاغ المعانى صوغا حسنا وترتب على سياق محكم ليجذب السامع وتنمى فيه الرغبة فى حل المشكل.

وقد استطعت بفضل الله أن أجمع عدة مجموعات من المناظرات والمفاخرات معظمها كانت مخطوطة ليتعرف القارئ على هذا اللون الأدبى الشيق فى موضوعه وأسلوبه، وهذه المجموعة عبارة عن مناظرات ومفاخرات بين أنواع الزهور، أطلقت عليها عنوان «نور النهار فى مناظرات الورود والرياحين والأزهار» وهى تمتاز بطرافة موضوعها ورقة أسلوبها، عسى أن تنال إعجاب القارئ، والله ولى التوفيق.

المناظرة الأولى

الجوهر الفرد فى مناظرة النرجس والورد

الجوهر الفرد فى مناظرة النرجس والورد

لأبى الحسن على بن محمد بن أبى بكر بن الشرف الماردينى، خدم بها قاضى القضاة شهاب الدين بن الكشك، وقد استخرجتها من مخطوط كوكب الروضة للسيوطى.

وهى مناظرة لطيفة، والفاظها عذبة رقيقة، عرض فيها المؤلف مميزات كل من الورد والنرجس، وقد حاول كل منهما اظهار محاسنه وعيوب منافسه، وأسلوبها سلس مسجوع، وضم الكاتب فيها الأشعار والأقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى والحكم والأمثال، وهذا الأسلوب شاع من كتابة العصر المملوكى.

وقد فضل المؤلف هنا أن يساوى بين النرجس والورد لقوة حجتهما فى المناظرة وتساويهما فى التفضيل حيث أجمع الناس على فضلهما على سائر الأزهار.

الجوهر الفرد فى مناظرة النرجس والورد

لأبى الحسن على بن محمد بن أبى بكر بن الشرف الماردينى

خدم بها قاضى القضاة شهاب الدين بن الكشك قال:

الحمد لله الذى أنبت فى رياض الخدود وردة الخجل، وزين أغصان القدود بنرجس حسن المقل، وأوضح لذوى الأدب سبيل البلاغة فاتضح، واستجلوا من وجوه المعانى عيون الملح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين بقول غير ملتبس، وعلى الآل والأصحاب ماخجلت خدود الورد من تغازل عيون النرجس.. وبعد

فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا، وألطفها شكلا وأطيبها عرفا، وقد اختلف بينهما فى التفضيل، وأيهما حضر كان لبيت البسط تكميل، مثلتهما كالخدين فى المناظرة، واستنطقت لسان حالهما على سبيل المحاضرة. فقال الورد:

الحمد لله الذى أنزل فى محكم القرآن ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث إلى الأسود والأحمر، الذى نسخ

بشريعته البيضاء ملة بنى الأصفر [١] ، بعد فإن الله تعالى فضلنى على سائر الزهر بأرفع المراتب، فوجب عليّ شكر نعمته وشكر المنعم واجب، فبى تتجمل المجالس والمحافل.

وإنى لإن كنت الأخير زمانه ∴ لآت بما لم تستطعه الأوائل

كفانى الله عين حسودى، فالروض ملكى والزهر جنودى، وما منهم من قلع[٢] فى أعلامى السلطانية،وكيف لا يطيعوننى وشوكتى فيهم قوية.

فازورت أحداق النرجس، وقام على ساقه فى المجلس، وقال: أقسم بمن أنزل فى كتابه المبين « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين »، وحق محمد المحمود، الذى يوحى إليه «قتل أصحاب الأخدود »، قد مدحت نفسك بالكمال مع نقصك، وما جررت النار إلا إلى قرصك، أتعيرنى بالأصفرار وهو لون التبر إذا انسبك، وتفتخر عليّ بالأحمرار فما أحمرك، فتأدب فى مقالك، وأذكر سرعة زوالك، واحفظ حرمتك، وإلا كسرت شوكتك.

فقال الورد: ويلك ما أقوى عينك وأكثر مينك [٣]، اتجعل مقامك مقامى وأنت من بعض خدامى، ولو لم تكن قليل الحرمة، ماكنت جالسا وأنت واقف فى الخدمة، ألك مثلى حسن منظر ومخبر، أما سمعت أن الحسن أحمر، وأن عيَّرتنى بقصر مدتى، فقد استنبت عنى بخليفتى [٤]، ولم يزل جمال المقامات، ومن خلف مثله مامات، اتحسب محاسنى مثل محاسنك متناهية، وكيف ينقطع عملى ولى صدقة جارية، فشتان بينى وبينك، فإن لم تنته عن جدالك، قلعت بشوكتى عينك. وانشد لسان حاله:

لجمال وجهى تشخص الأبصار	ولعز مجدى تخضع الأزهار
لى نفحة وردية فى وجنتى	ولها من الورق الجديد عذار
وملابسى من سندس فتق	الشذا اكمامها فانقضت الأزرار
فكأننى هذا الحبيب إذا بدا	نشوان قد دارت عليه عقار

---

(١) بنى الأصفر : الروم.

(٢) ومامنهم من قدح فى النسخة ب.

(٣) مينك : كذبك.

(٤) المقصود ماء الورد.

لاغــرو ان صــرف المحــب عــلــى حيـاتـى فـكـم فـى وجنـتـى ديـنـار

حـرمـى غـدا لـذوى الخلاعـة امـنـا مـن حـولـه تـتـخـطـف الأبـصـار

ولـى المهـابـة والـبـهـاء وأنـت مـن حـسـد وغـيـظ قـد مـلاك صـفـار

مـا شـانـنـى قـصـر الزمـان ولا يـرى لـك فـى لـيـالـيـك الـطـوال فـخـار

ولــكـن أيــامــى ســرور كــلــهــا وكـذلـك أيـام الـسّـرور قـصـار

فـقـال الـنـرجـس : يا قليل المودة، ويا قصير المدة، اين العيون من الخدود، وأين الجافى من الودود، أنا أوفى بميثاقى، ومن يزرنى اجلسه على أحداقى، فيقول لى من افضت عليه السرور فيضا، لقد اكرمت ضيفك فعليك الراية البيضا، وأنت طالما جنى شوكك على من جناك، فذقت عذاب النار ذلك بما كسبت يداك، سرقت لون الحبيب وتسترت بالورق، فقطعوك والقطع حد من سرق، واستقطروا ماء دمعك وأذاقوك الحرق، وقيل لتركبن طبقا عن طبق، وأى فخر فى أحمرارك الشريق، وكم بين التبر والعقيق، فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين [1]، وارجع عن المناظرة فما جئتك إلا بعين، هذا ولى فى السبق قصبات، وكم جلوت صدأ القلب بطيب النفحات، وإذا وفد جيش الزهر فلى فى طلائعه عيون، والسابقون السابقون أولئك المقربون، وانشد

فـقـت الزهـور جـمـيعـهـا بـتـقـدمـى فأنـا المقيم على الوفـا يـامـتـهـمـى

ادعـو الـنـدامـى لـلـمـسـرة والـهـنـا وكـمـا علـمـت شـمـائـلـى وتـكـرمـى

وأقـى الجـلـيـس بـنـاظـرى وأروقـه حسنـا وساقـى فـى يديـه ومعصمـى

واغـض طـرفـى أن خـلا بـحـبـيـبـه واصـون سـر الـعـاشـق المتـكـتـم

وإذا غنـى المحبـوب كـنـت بـحـفـظـه عـونـا عـلـيـه مـن الـدبـيـب المحرم

واغــازل الاجـفـان وهـى نـواعـس وإلـىّ تـشـبـيـه الـلـواحـظ يـنـتـمـى

وتـرى حجيـج اللـهـو حـولـى طائـفـا وجـمـيـع أيـامـى كـيـوم المـوسـم

ايـن الـعـيـون مـن الخـدود نـفـاسـة لـولا فـسـاد قـيـاس مـن لـم يـعـلـم

فـافـهـم وكـن عـن رتـبـتـى مـتـأخـرا واعـلـم بـان الـفـضـل لـلـمـتـقـدم

---

(١) اللجين : الفضة .

فاحمر خد الورد والتهب، وظهر في وجهه صورة الغضب، وقال ياقوى العين، ويالون اللحين، خل عنك الحماقة، ولا تدخل فى باب مالك به طاقه، فلقد استحقيت المقت، ولا أبالى بك ولو برقت، كيف تفاخر بصفارك حمرة الخدود، ومن أين لبياض أجفانك مغازلة العيون السود، أتناظر بعماشك عيون الملاح ، ما أنت يا عيون النرجس إلا وقاح، اتعيّرنى بحسن الابتلاء وهو الأفضل، وقد قال ﷺ «نحن معاشر الأنبياء اشد الناس بلاءا » الأمثل فالأمثل، طالما ابتليت فصبرت، وما شكوت حالى بل شكرت، أبيت بزفرة لاتخمد، وادمعى تتحدر، وأنفاسى تتصعد، أحبس بلا ذنب واعصر، فتجرى دموعى وما هى إلا مهجة تذوب فتقطر، وما ضر إبراهيم القاؤه فى نار نمرود، ولا شان يوسف سجنه مع فضله المشهود، مع أنى طالما لثمت الثغور والاعناق، وفزت بالشم والضم والعناق، ذكى منى الأصل والفرع، ولا انزل بواد غير ذى ذرع، واقسم ببديع حسنى وتدبيج أوراقى، وسموى عن مراعاة النظر بتوجيه طباقى، ما أنت محاسنى فى المقابلة، ولا موازنى فى المشاكلة، ولا لاحقى فى الطى والنشر، وأناسيد زهر الربيع ولا فخر، فلا تطل الشقاق والنفاق، ولابد لك من الوقوف على خدمتى ولو قامت الحرب على ساق، وأى فضل لك فى التقديم، وكم بين الحبيب والكليم، وإذا أردت كشف التلبيس، فتفكر فى فضل آدم على إبليس، وكم بين الشمس والنجوم، وما منا إلا له مقام معلوم، وهل أنت إلا من بعض جنودى ، والمبشرين بورودى، وأنا منك بالفضل أولى، وللآخرة خير لك من الأولى. وانشد :

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئا   وأنا ما نقصت بالتأخير

بيننا فى القياس فرق لطيف   مثل ما بين يوسف والبشير

فحدق النرجس وحولق ، ورفع رأسه بعد أن أطرق . وقال : إذا افتخرت بآثارك فليست العين كالأثر، وأن كنت مباشر الثغور فأنا لى حسن النظر، مع أنهم ارخصوا بك فى التسعير، وما عصروك إلا عن ذنب كبير، ولو لم تكن من المتمردين الانجاس، ما حبسوك فى قماقم النحاس، وأنت فى افتخارك كما قالت الحكماء، انف فى الماء واست فى السماء، تتطفل على الموائد، ولا تصبر على طعام واحد، واقسم بقدى الرشيق، ونورى الشريق، وبياض صحائفى، واخضرار سوالفى، لئن لم تصن بهجتك المسبوكه، وتستر فضائحك المهتوكه، لأقطعن طرقك المسلوكه، واجعلن حرمتك متروكه، ولا اترك لك فى عصبة الأزهار شوكة، وأذيقك عذاب الهون، اتعيبنى وكلك عيوب وكلى عيون، أنا طبعى الوفا وأنت طبعك الغدر، وأنا أول ما تنشق عنه الأرض من الزهر ولا فخر، ولولا خشية التطويل، عدّدت معايبك على التفصيل، ولكن شيمتى غض الطرف فى المجلس، وما أحسن الغض من النرجس، وأن تشبهت بالشمس أنا بكسوفك شامت، وأن كنت من السيارة فانى من النجوم الثوابت، وشتان بين طالع وآفل، وكم بين مقيم وراحل، وأن لم ترجع إلى السكينة والوقار، لأرينك النجوم بالنهار، أين قضبان الزمرد من شوك القتاد (١)، وكم بين مريد ومراد، وأقسم بمن زين السماء بزينة الكواكب، إن لم ترجع لأرمينّك بشهاب ثاقب، وأسلط عليك رجوم نجومى، وأقول مضمنا قول ابن الرومى أُنشد :

عجبت للورد إذ وافى يناظرنى	وزاد فى قوله عجبا وفى شططه
يبدو وطياته من حول سفرته	كُسرم بغل وباقى الروث فى وسطه

(١) القتاد : نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية.

فخجل خد الورد حتى كلله من الطل العرق، وكاد خوف الفضيحة يتستر بالورق، ثم إنه استشاط كمن أطُلق من عقال، وسطا على النرجس بشوكته وقال: يا نفاضة أعلى المحافل، ولقاطه المزابل، كم بين مهتوك ومصون، ومتروك ومخزون، فجل القضية إنك راجل وأنا فارس، وتقوم في الخدمة وأنا جالس، ولولا فجورك وقوة الحدقة، ما جئت تزاحمنى فى الطبقة، وانشد :

أما وفتور أجفانى النواعس	وتزيينى المحاضر والمجالس
واشراقى لعشاقى وما قد كسانى	الله من اسنى الملابس
وما قد حزت من نشر شذا	يفوح بطى انماس النفائس
لقد عديت طورك فى مقامى	وهل احد بمثلك لى يقايس
أنا فى البسط فاتح كل باب	وخاتم كل زهر فى المجالس
وأن ذقت كؤوس الراح اجلى	على صحبى كما تجلى العرائس
وأن نحن احتمعنا فى مقام	تقوم فى خدمتى واظل جالس
وان تك حارسا ما ذاك فخر	فكم مابين سلطان وحارس
دع التعريض أوضحت فإنى	أراك إذا التقى الجمعان ناعس
وهل للحبيب من حسن إذا	لم يكن للورد فى خديه غارس

فقال النرجس : أنا عيون المجالس، وشموع المجالس، وأنيس النديم، وقد خلقنى الله فى أحسن تقويم، من أين لك لطفى ودلالى وقد فاتك لينى واعتدالى، وبى تشبه عين الحبيب فاعلم، ولأجل عين ألف عين تكرم، وكثيرا ما بينك وبينى، وأن عدت إلى مثلها سقطت من عينى. وأنشد :

أما وفتور اجفانى النواعس	ولحظ دونه لحظ الكوانس
واحداقى تصيد الأسود صيدا	وألباب الرجال لها فرائس

وعينى الوقاح ولين عطفى / الرشيق إذا بدا فى الروض مايس

لئن لم تنتهى ياورد عنى / وتترك مالديك من الوساوس

رشقتك بسهام عينى و / اجعل ربعك المعمور دارس

أنا أبهى والطف منك معنى / وأزهى فى المجالس للمجالس

وكم متعته مرأى وشمًّا / ولفت له ولا أوذى الملامس

وعن أهل الغرام أغض طرفى / وإن نام الحبيب فنعم حارس

أقوم بخدمة الندمان جهدى / وتقعد عن مقامى فى المجالس

لفخرك لا أجد وجها لأنى / أنا راس الزهور فلا تراوس

فقال الورد : والذى خلق الإنسان من علق، والبس الخد حلة الشفق، وضرج الوجنات بحمرة الخجل، ودبج بالتوريد مواقع القبل، لقد جزت فى القول حداً، وجئت شيئا إداً، وتريد أن تميز نفسك بتقديمها، وإنما الأعمال بخواتيهما، أنا خد الحبيب نصيبى، والراح يتلبس ويتمسك بذيل طيبى، أتشك فى أن أحسن صفات المدام الوردية، لقد تفته قلبى من عينك القوية، اتروم تغطى فضلى بغضاً منك وسخطا، أما سمعت فى الأمثال أن الشمس ما تتغطى، وانشد :

أنا والراح للأرواح راحه / وكم فى قبض ساقى بسط راحه

اتغمى عن عيونك إذ ترانى [1] / بعين النقص ماذا إلا وقاحه

فقال النرجس : والذى زين العيون بالدعج، وأرسلها فى فترة الأجفان إلى المهج، وفضل الإنسان بالعين والعين بالإنسان، وكحل بفنون

---

(١) اتعمى من عيوبك (فى النسخة أ ، جـ).

السحر فتور الأجفان، إذا لم ترجع عنى، لأجردن سيفى من جفنى، وأطيح راسك عن قدمك، وأخضبنك بدمك، ومن أنت فى البين، وقد أصبح فضلى عليك فرض عين، اتجارينى وجيادى السوابق، وتناظرنى ونواظرى أحداق الحدائق، وفى فتور أجفانى من السحر فنون، اتشك فى الملاحة فى العيون. وأنشد :

أنا ما بين أصحابى بعين	وفضلى رائج والورد دونى
وفىّ فى الملاحة كل فن	بديع والملاحة فى العيون

فقال الورد : أين السهل من الممتنع، وكم بين المفترق والمجتمع، أنت تبذل نفسك فتهان، وأنا أعز بصونى عن ملامسة الندمان، وأنت رقيب علي العشاق فى مجالس الطيبة، وإذا رميتهم بعينك يقولون ماذا إلا مصيبة، أنا ذو الوجه الأقمر، والخد الأزهر، وإذا تاملت عيونك إذا هى بالساهرة، كيف تناظرنى ولى وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، وأنت قد ضربت عليك الذلّة، وما أصفرارك إلا لعلّة.

فقال النرجس : ياقليل الوفا، ويا كثير الجفا، ألم تعلم أن التخليق[١] بالصفره ، من امارات النصره، وقال جماعة من الحكما : أن من أنحس الأشكال الحمره.

فقال الورد : هذا لونى منذ كنت فى أحشاء الأكمام مضغة، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

فقال النرجس: وهذا على فضلى من الشواهد.

---

(١) التخليق أى التطيب بالخلوق وهى العطور.

فقال الورد: ما يصفر منا إلا الحاسد.

فقال النرجس: لم تزل عين كل شيء، احسنه.

فقال الورد: لا تستوى السيئة ولا الحسنة.

فقال النرجس: ذهبت منك الحجة، واتضحت لى المحجة، وأن الدين بفضلى ظاهر لا يختفى، بحضورى فى حضرة مولانا قاضى القضاة الحنفى.

فقال الورد: وهذا مما يؤيد كلامى، ويرفع فى الفخر مقامى، كم بلغت بحضرة المخدوم مقصودى، ولم يزل إلى منهل العذب ورودى.

فقال الراوى: فلما رأيت كلا منهما قد جاء فى حجته بالبرهان والدليل، ولم يتضح لى أيهما أحرى بالتفضيل، وضاقت علىَّ بينهما المسالك، ورأيت مالكى بالمدينة فلم يُجْزَ لى أن افتى وفى المدينة مالك. لانه فريد عصره فى فضله وأدابه، وهو الذى يفصل بينهما بفصل خطابه. انتهى والله أعلم

المناظرة الثانية

أنوار السعد ونوار المجد
فى المفاخرة بين النرجس والورد

أنوار السعد ونوار المجد
فى المفاخرة بين النرجس والورد

مؤلف هذه المفاخرة المولى تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى، وهى المفاخرة الثانية بين النرجس والورد، وهى تتميز بلغة أدبية أرقى من الأولى، وبعد عرض مميزات وعيوب كل من النرجس والورد فضّل المؤلف أن ينتصر الورد على النرجس فى المفاخرة.

ونحن ننشر تلك المفاخرة نقلاً عن المرحوم على الجندى الذى حققها فى كتابه «الشذا المؤنس فى الورد والنرجس».

أنوار السعد ونوار المجد
فى المفاخرة بين النرجس والورد

للمولى تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى

أن أول ما وقعت المفاخرة بين غصنين نشآ فى جنة، وبارقتين تألقتا فى دُجنَّة، وزهرتين تفتحتا فى كمامة، وقطرتين صدرتا من غمامة.

ولما كان النرجس والورد قريعى [1] هذه الصفات، وفارعى هذه الصَّفاة [2]، تطاول كل منهما إلى أنه النديم، والخلّ الذى لا يملُّه الحميم؛ طالما عطر بنشره الأكوان، وغازل بعيونه الغزلان، وأنارت شموس سعوده، وقُبّلت حمرة خدوده، أحببت أن أقيمهما فى موقف المناضلة وأشخصهما فى معرض المفاضلة، ليبرهن كل منهما على ما ادعى أنه فى وطابه [3]، ويبدى شعائر ما تقلده وتحّلى به، فبالامتحان يظهر الزيف، ولا يقبل الحيف؛ فعندها حدق النرجس بأحداقه، وقام على قصبة ساقه، وتهيأ لمناضلة خصمه، وشرع يبدى شرائع حكمه، وقال:

---

(١) القريع : النظير.

(٢) الصفاة بفتح الصاد : الحجر الصلد الضخم لاينبت.

(٣) الوطاب بكسر الواو : جمع وطب وهو سقاء اللبن.

أشبهتُ العيون، وأشبهتَ الخدود فلا فرق، ولقد علمت ما بينهما مثل ما بين القدم والفرق (١)، فأنا حارس مجلس الشراب، والنديم المعول عليه بين الأحباب، تسميت بأحسن الأسامى، فلست لى بمسامى، تسمت بى الحسان، ومِسْت فى حلل مصبّغات الألوان، ولو اعتبرت بحمرة خجلك، وتشقيق جيوب حللك، ما قمتَ فى موقف المفاخر، ولا فهت ببنت شفة (٢) فى معرض المفاخر.

فتضرج خد الورد حمرة، وأوقد من الغيظ لمناضلته جمره، وقال : مُت بداء الحسد فقد علاك اصفراره، وأين منك الطرف - كما أدعيت - لم يبْدُ عليك احوراره؛ صدقت، ولكن أنت أشبه بالعين المخصوصة باليرقان ، والصفرة المنوطة بالأبهقان(٣)، فلقد عشت (٤) عيونك السقيمة من أشعة شموسى، ووقفت على قضب ساقك حيث استقر كرسى جلوسى، فأنا دائرة الجمال، المشتملة على قطب الكمال، ربتّنى الدرارى(٥) بدّرها، وقلدتنى نفيس دُرّها، فنشرت أعلامى العقيانية (٦) على زُهرتها (٧)، واشبهت شكلها وحسن زهرتها.

فهز النرجس رماحه الزبرجدية، فتلقاها الورد بحجفته (٨) الذهبية وقال(٩) : اردد هذه العقود النفيسة إلى هواديها (١٠)، فقد علم كذبك

---

(١) الفرق : وسط الرأس (٢) بنت شفة : كناية عن اللفظة.

(٣) الأبهقان : عشب يطول طولا شديدا، وله وردة حمراء، وورقه عريض ويؤكل، وقيل هو الحرجير البرى زهره كزهر الكرنب وبذره كبذره.

(٤) العشا : سوء البصر فى الليل والنهار.

(٥) الدرارى : الكواكب العظام، والعرب تسب الأمطار والرياح إليها.

(٦) العقيانية : الذهبية. (٧) الزهرة: كوكب الزهرة. (٨) الحجفة : الترس.

(٩) أى النرجس لا الورد كما يتوهم. (١٠) الهوادى : الأعناق.

حاضرها وباديها . والطم خدودك حزنا على فوات مقامى، وقصورك عن بلوغ مرامي؛ من أين لك مداهن در حشوهن عسجد، لست أبالى بنفسك تَصَوَّب أم تَصعَّد . أما ترانى قد نُشرت على رماح من زبرجد، طالما حرست حمى الرياض، ولبست أحسن اللباس، وهو البياض، وقمت خطيبا على منبر الصين، وقُلِّدت إمرة الرياحين، فأنا ناطر [١] هذا الفضل، وناظر هذا الفصل، سبقتك إلى الوجود مكانا أعدم مكانك، ولم يرض زمانى أن يجاور زمانك، لُبثك على وجه البسيطة قليل، وحالك ـ كما علمت ـ ليس بالجليل، تتلون كما تتلون الغول، من أحمرك وأصفرك وأبيضك المملول؛ فلقد رماك ابن الرومى بسهام هجائه، وجعلك عُرْضة لنوائب الدهر ولأوائه [٢] حيث قال:

كـأنـه سـرم بـغـل حـين يـخـرجـه ... إلى البراز وباقى الروث فى وسطه

وحيث مدحنى وقال:

أيـن الـعـيـون مـن الخـدود نـفـاسـة ... ورآسـة لـولا الـقـيـاس الـفـاسـد

فمثل هذه المسبة لا يضمحل أثرها، ولاينقطع خبرها، ولله در القائل:

الـنـرجـس الـغـض لـه رتـبـة ∴ أشـبـه شـىء بـالـعـيـوان المـراض
قـام عـلـى قـضـبـانـه مـبـديـا ∴ فـخـاره المـشـهـود بـين الـريـاض

ولو لم أغمض عن مساويك عينى، وأترك للصلح موضعا بينك وبينى، لكنت أبديت أضعاف مساويك؛ لأننى فى الرتبة غير مساويك.

---

(١) الناطر والناطور: حافظ الكرم أى حارسه.

(٢) اللأداء : الشدة والمحنة

فعندها اشتعل الورد من كلامه، وظهر من أثر كلامه (١) وقال: لقد تعديت طورك، وستعرف حورك وكورك(٢)، لكن قحة (٣) العيون مخصوصة بالأنذال، والتجرى على الملوك من شعائر الجهال؛ فأنا سلطان الرياحين، وبذلك وُقِّع لى فى سائر الدواوين، كأننى وجنة حب وقد نقطت بدينار، أو أنامل خود عندمية ضمت على قراضة نضار، أشبهت الشموس شكلا، وفقت البدور مثلا، أنظم كما تنتظم العقود، وأصل كما يصل الحبيب بعد الصدود.

وأما افتخارك بالحراسة، فهى محل الأسقاط، والوظيفة المنوطة بالأنباط، أما كونك سبقتنى فهو على حكم الحجبة، والمبشر بوصولى، وأن كان أضمر بغضه لا حبه، فلما علم أوان حط رحالى حث رحاله، وأشاع فى أصحابه ارتحاله، وقال: قد أظللنا وصول ملك لا يجارى، ورئيس لا يبارى، وأين زمانك من زمانى، ومكانك من مكانى، لا أظهر إلا والثرى قد اكتسى سندسى أديمه، وفاح مسكى نسيمه، وخطبت أطياره، واخضلت أزهاره، وصدحت بلا بله، وتأرّجت خمائله، واطردت أنهاره، وتعانقت أغصانه وأشجاره، وبزغت شموسى فى فلك غياضه، وتكلل خدى عرقا من أنداء رياضه، فأنا بينها الطراز المذهب، والملك المعظم المهذب، إذا برزت فى لياليك المعتمة، وظهرت فى أراضيك المُقتمة، وسهرت عيونك فى ليل شتائك وقاسيت برد مائك، وطول عنائك؛ ولكم بين الشتاء والربيع، كما بين الرئيس والوضيع،

(١) الكلام بالكسر: الجراح: جم كلم بالفتح.

(٢) الحور بفتح فسكون: النقص. والكور بفتح سكون كذلك: الزيادة.

(٣) قحة: الوقاحة، وهى عدم الحياء.

يا جبلي الطباع، لقد صرتك رياحي [1]، وصفَّرت عينك حمرة خمرة ارتياحي.

وأما ثلبك [2] بقصر مدتي، وسرعة بلى جدّتي، فدليل على عدم عقلك، وسقوط معقولك ونقلك، أما علمت: أن المكثر للزيارة مملول، وعقد وده محلول؛ لو بقيت الشمس على الدوام، لملتها أنفس الأنام، ولك بذلك عبرة، وأنت في هذا الوطن من أهل الخبرة. لما أقمت ملك الناشق، ولم يُعرِّج عليك العاشق؛ ولقد عجبت من رقاعة عصبت رأسك بالحماقة، وأدعيت شبه العيون، وأنت أشبه شيء بصفرة بيض على رُقاقة.

أين ذهبت عينُك لم يبق لك أثر، كلا ولا يوجد لمجدك خبر، لكن أنا إن ذهبت عيني، فأثري على أردان الأماجد يفوح، وعلى ممرّ الأعصر يغدو ويروح، فأنا أثر بعد عين، فدع عنك التحلي بالمين، ولله در القائل:

ياحبذا الورد مذحيا بطلعته	∴	وعطر الأفق منه نشرهُ العبق
كالشمس شكلا،ونشر المسك رائحة	∴	واللؤلؤ الرطب في تضريجه عرَق

فعميت عيون النرجس من بزوغ أنواره، ونُكِّست أعلامه الزبرجدية لنضارة نواره.

فعندها قال الورد: هذه الشقراء والميدان [3]، إن كانت لك خبرة بمبارزة الأقران.

فلما أورده لظى الحرب، ولم يكن من رجال الطعن والضرب، وألزمه

---

١) صرتك: أصابك الصر بكسر الصاد وتشديد الراء - وهو البرد. أوصرتك: جمعتك وجعلتك منقبضا حزنا وأسفا.

٢) الثلب: اللوم والعيب. (٣) يتحداه أن يركب فرسه الشقراء وينازله.

الحجة، وعرفه المحّجّة، وبان بهرجه من إبريزه [1] ، وتحقق مواد تبريزه [2] دمعت عينه أسفا، على ما أبداه من الجفا، ثم قال: ما أنا أول باحث بظلفه [3] من حتفه وجادع مارن أنفه بكفه، لقد قيل: عادات السادات، سادات العادات، وعادة الملك - أدام الله انهمار السحب على خمائله الذهبية، وأطلع فى فلك الاعتلاء أنواره الشمسية، الصفح عمن كثر ندمه، وزلت قدمه، ومن نشر أعلام الاستغفار ، خليق أن يقبل منه ما يبديه من الاعتذار. وما أنا أول من هفا، ولا أنت أول من عفا، ليت شعرى : أين حياؤه من وقاحتى، وأين رشاقته من كثافتى، الخفاره [4] لائحة عليه، وأمور الرياحين تساق إليه.

فعندها قال الورد : من شأننا الصفح عما أتيته، فقد جنيت ثمار الندم بما جنيته. فكن قرير العين، ولا تعد لمثلها فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، واحذر أن تطاول من هو أعلى منك محلّة، وأبهج فى ارتداء السيادة حُلّة.

الآن قد تولد من بياضك وحمرتى اجتماع، والتأم شعث [5] أمرنا بعد أن طار شعاع. أما علمت أن الأمتحان، يظهر رتبة الإنسان، ومن سعادة جِدًّك، وقوفك عند حَدًّك ، فكن لما قلته بالمرصاد، وأن عدت لمثلها فترقب أول «النحل» وآخر «صاد» [6].

ونسأل الله أن يهدينا إلى الرشد، وأن يذهب عنا ضغائن الحسد، بمنه وكرمه إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة قدير.

---

(١) البهرج بفتح فسكون ففتح : الباطل والردئ والابريز · الذهب الخالص.

(٢) التبريز : السبق. (٣) الظلف بكسر فسكون للبقرة والشاه والظبى وشبهها . عمرلة القدم للإنسان

(٤) الخفارة : الحياء. (٥) الشعث : انتشار الأمر.

(٦) أول سورة النحل « أتى أمر الله » وآخر صورة صاد « ولتعلمن نبأه بعد حين » : أى ترقب قيام القيامة عليك.

المناظرة الثالثة

مفاخرة الورد مع النسرين

مفاخرة الورد مع النسرين

هذه المفاخرة مخطوطة في مجموعة عز الدين المقدسي وهي في الأغلب تنسب إليه وقد نقلها السيوطي عنه في كوكب الروضة.

وهي دراما على لسان راوي لها حزين على فراق الحبيب، فيدخل روضة حافلة بالزهور والرياحين والأشجار، لعل ذلك ينسيه أ لم الفراق فيمر بين الأزهار ويستنطق ألسنتها فيصل إلى عقدة الدراما والموضوع الأساسي لها وهي معركة كبيرة بين الورد والنسرين على الزعامة بين الأزهار والرياحين، فيرسم لنا الراوي صورة حية لتلك المعركة بين جيشيهما إذ كان لكل منهما أعوان من الأزهار والفواكة والنُّقل تساعده في الحرب والقتال، ووقف البعض موقف المترقب، والبعض مثل الجوز «كان بينهما بوجهين» في المعركة، وقد انتهت المعركة بانتصار الورد واعلانه سلطانا على جميع الورود والأزهار والرياحين، وعفوه عن النسرين واعطائه مكانة تليق به تليه في الرتبة بأن جعله أميرا على الأزهار. ثم أتت الأزهار والرياحين والفواكة والنُّقل لتهنئة الورد بالملك والسلطنة، ثم يتحقق للراوي أمله وحلمه بالتقاءه مع حبيبه في بستان جميل.

وهذه المفاخرة صورة صادقة للأدب المملوكي بالفاظه ومعانيه وصوره البيانية، وتمثل طبيعة العصر المملوكي المتميز بالصراعات.

مفاخرة الورد مع النسرين

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدئ فى النظام بالصلاة على أشرف الانام، الذى أظهر الإسلام بمد
تسام، وبعد هذا أصف لكم قصتى الغريبة، واحوالى العجيبة، الله يعلم
ى يوم فراق الأحباب، وتعذيب قلبى المصاب، بكيت حتى ابتل من دمع
بتى التراب، وعدمت طعم الطعام والشراب، فلما كشف جسمي النحول،
جرى دمعي سيول، علمت أن شرح الغرام يطول، فأنشدت أقول :

ـا كـوى قـلـبـى فـراق أحـبـتـى ⁂ وغادرنى صبرى عدمت وجودى
ـاديـت أيـام الـوصـال تـعـطـفـى ⁂ وحِنِّى على مضنى الغرام وجودى

قال : فسرت فى أثر سيرهم، وقلبى لا يميل إلى غيرهم، فلم ألق إلا
طريق، من غير صديق ولا رفيق، فاخترت الدخول للرياض فى السحر،
مى تنتفى عنى الهموم والفكر، فدخلت إلى روضة رائقة، وزهرة لائقة،
لى أتنشق ريح الأزهار، وأسمع حنين الأطيار، فوجدت النسيم فى
روض حائر، والدولاب (١)عليه دائر، ورأيت عيونا جارية، وأغصانا
هية، وطيورا متناغية، وورد وبان، وزهر وأقحوان، فانشرح صدرى،
ـال عنائى وفكرى، ولكنى تذكرت خد الحبيب برؤية الورد النصيب،

---

(١) الدولاب : الساقية.

فجئت له مسائل، وهو بلطف النسيم مائل، فقلت له : مالى أرى ظاهرك أحمر، وباطنك أصفر، كأنك مثلى عاشق، أيها الغصن الشاهق. فقال : وأنا كما تقول، فلا تظن أن قولى مجهول، فأنشدنى شيئا يعجبنى فأنشدته مقطوعا لطيفا، مختصرا ظريفا :

تمايل الورد عجبا فى غلائله ∴ مذ حركت نسمات الصبح ساكنه

فاحمرٌ من عظم نار الوجد ظاهره ∴ واصفرٌ من كتم سر الحب باطنه

ثم التفتُّ إلى النسرين ، من بين تلك الرياحين، فوجدته متكئاً على سرير أخضر، ورائحته أزكى من العنبر، فلحقتنى منه رائحة من روائح الأحبة، فذكرتنى مامضى من المحنة، فقلت ما أذكى تلك الرائحة، التى فى الرياض فائحة، فوالله لولا الورد صاحب الشوكة فى البستان، لكنت تصلح أن تكون على الزهور سلطان ثم رجعت مائلا، وأنشدت قائلا :

لمابدا سحر النسرين فاح له ∴ نشر يعادل ريح المسك بعبقه

فخلت مذهب نشر منه عطرنى ∴ كأنه من شذا الأحباب انشقه

ثم ابتدأت على اليمين، حتى انتهيت إلى الياسمين، فوجدت خامه[1] فى الروض مضروب، وهو عن الزهور محجوب، وقد ألبسه الله خلعة من التصافى، وجعل قلبه أبيض صافى، فقلت : والله ذكرتنى جسم الحبيب، وأجريت دمعى من جفونى صبيب، ثم أنشدته مقطوع، وأنا شارق بالدموع :

لما تبدى غصين الياسمين بكى ∴ طرفى فاسقيته من أدمعى[2] غدقا

فقلت لاح بياض منك يعجبنى ∴ كأن جسم حبيبى منك قد خلقا

(١) خامه : خيامه. (٢) مدمعى فى أ ، هـ.

قال : ثم رأيت البان قضيب ملتحف، يميل مع النسيم من الهيف، بتعجب في الميلان، كأنه قضيب خيرزان، فقلت : قوامك حرَّك عندى الهوى، ولونك يشبه لونى سوا. ثم أنشدته :

غصن من البان قد تبدى ∴ رأيته زاد فى جفونى
قوامه مثل قد حبى ∴ ولونه بالضنا كلونى

ثم رأيت الآس ظريف الشمائل، مظفر الدلائل، قد ذهت أغصانه، وامتدت قضبانه، وسبسب النسيم ضفائره، وترنم بالتغريد طائره، وقلت : ما اشبهك بضفائر شعر الحبيب، فاسمع ما قال الكئيب :

عجبت من غصن آس ماس من طرب ∴ قد جد فى النوح والتغريد طائره
وهب فيه نسيم الصبح فخيل لى ∴ بأن حبًّى قد أرخى ضفائره

قال : فبينما أنا مفكر في نسمات الأسحار، ونغمات الأطيار، وروائح الأزهار، وألوان الأشجار، والعود يئن من كبد حزين، وأنشد شرح حاله يقول :

أنا القطيع الرجيح الساهر العانى ∴ أنا المغرب عن أرضى وأوطانى
أنا الذى كنت غضا يافعا خضرا ∴ جار الزمان على ضعفى فأرمانى
ياطول ماماس قدى فى غلائله ∴ مذ حركت نسمات الصبح أغصانى
أصبحت أمرغ خدى فى التراب ∴ على مانابنى من صبابات وأشجان
فطال نوحى وأقلقت الأنام ولى ∴ عين على ما جرى تبكى بغدرانى
يالهف قلبى حريق النار من عطش ∴ والأرض ريانة من فيض أجفانى

فتأوه القلب من مقاله، وقال له حالك بحاله، إذا لاح كان العود

يشتكى الفراق، فجميع الناس عشاق، فنسيت الهوى، وتركت الصبابة والنوى، وراجع طرفى المنام، وتبت عن العشق والغرام، فبينما أنا منشرح فرحان، الإ ونسيم البان قد هب على الأغصان، فتمايلت شجرة من شجر الرمان، فرأيتها ترفل فى ثوب أخضر مقمعة البنان، بأحمر قد هزت قدها، وأبرزت نهدها، فأخذتنى الفكرة، من تلك النظرة، ونسيت كلام العود، وأبذلت فى طلبها المجهود، فأنشدت تلك الشجرة بأبيات مفتخرة :

رمانة خطرت فى ثوب مرسين ∴ كادت من اللطف والتاويد تسبينى (١)
فالقد والنهد والتخضيب من يدها ∴ سهم وجدت خيال الحب فى عينى

فضاقت بى السعة، من كثرة الهموم المتبعة، فاختصرت كثير المقال، بمقطوع فى شرح الحال :

يا قلب لا ترنى الأفراح مغتضبا ∴ إن الحزين حزين ليس ينشرح
ما سر عينان مما أبصرت فرحا ∴ الإ وقد ضرها من بعده ترح

فقلت : لما رأيت الروض الخصيب، ذكرنى محاسن الحبيب، فاخترت الرحيل من ذلك المكان، فصرت أودع الأغصان، بهذه الأبيات الحسان :

ياصاح كل غصين فى الرياض غدا ∴ يزهو بقامته فى ثوبه الخضر
مشربشين بتيجان الزهور كما ∴ تجلى العرائس فى حلى الزهر

ثم عزمت على الرحيل والرواح، وأنا ذاهب الإنشراح، الإ وقد هب نسيم الصباح، وتبسمت ثغور الأقاح، وعبق المشموم وفاح، فانطبع كل

---

(١) التاويد : الاعوجاج والانثناء والانحناء.

غصن فى زهره، وافتخر بزكاء نشره، فعجب النسرين فى ذاته، من رائحته وصفاته، وضحك وتبسم، وقال مع النسيم ورنم ، وأنشد :

أيا مجمع الأحباب ميلوا لنحوى ∴ واسمعوا جهرا ندای
فهل للعنبر المسكى نشرى ∴ وهل للروض سلطان سوای

فعند ذلك قال له جيش الورد: هاأنت بنفسك غلطان، هل للروض غير الورد سلطان، فأخذ فى نفسه ذلك الكلام، وأراد مع الورد الخصام، وكثر بينهما النمام.

فلما سمع الورد بذلك اهتز وماج، وخرج من السياج، وقرب من النسرين يشاجره، وبين قومه وجندى يفاخره، فقال له وهو زائد الأحمرار، مفكك الأزرار: ويلك ، تعلو علىّ فى البستان، وأنا فى الروض سلطان.

فقال له النسرين: أنا الذى فى الروض أذكر، ورائحتى كالمسك الأدفر ويحشى بى العنبر.

فقال له الورد: ويلك ياضعيف الجسم، ياقليل القسم، أنا سلطان الزهور، المحضر فى الصدور، أنا الورد المذكور.

فقال له النسرين: كم تقل قدرى، وتروم قتلى واسرى، ما أكثر كلامك يا جمرى.

فعند ذلك أخذ الورد الحنق، وظهر من بين الورق، وقرب إليه، واحمرت عيناه عليه، وقال له: أنت محزون يا كثير الجنون، كيف تهددنى ولى من الخواص فنون، مائى يصلح العيون، وورقى بالدخول معجون، وطال بينهما الكلام، ودخل عليهما الظلام، فانصرف كل منهم إلى مكانه، وقص ما جرى له على قومه وفرسانه، وباتوا متجهزين للحرب

والكفاح، إلى أن أصبح الصباح وانهزم الليل وراح، وازهر النهار ولاح، ونحن نصلى على سيد الملاح.

قال: فعند ذلك أمر النسرين بجمع العسكر، فانهزم أكثرهم وتأخر، مراعاة للملك الأحمر، ثم ضحك استهزاءاً وازدراءاً بالورد وكركر، وقال: أنا منه بالحرب أخبر، وأقنع بما تيسر، واليوم يبين لكم الأشطر.

قال: فعند ذلك أطاعه البان، وجاءه من أوراقه عريان، والسرو مشمر عن ساقه، والأقحوان يرمق بأحداقه ، واتشح البنفسج بوشاحه الأزرق، وجاء الموز بأعلامه الخضر تخفق، وانتظم الحال، وبرزوا للحرب والقتال.

قال: فعند ذلك دعا الورد بالوزير، ليستشيره فى ذلك الأمر والتدبير، ثم أمر بعبده ريحان، أن يحضر بين يدى السلطان، فما استتم الكلام، حتى ضربت الخيام، ونصبت الاعلام، وتزلزلت الأقدام، من الوقوف بين الانام، ثم بدأ بالسلام، وقبل الأقدام، وقال: لا تخش من شىء يؤذيك، والله ينصرك على من يعاديك، ورجع من عنده ، إلى جيشه وجنده ثم أمر الشنبر أن يعلق الشواليش[1] السلطانية ويحمل السيوف الهندية، وامتد القصب كالرماح الخطية، واكتست الأرض بالخيول والدروع الداوودية، وحمل الترنج الخوذ الذهبية، وجهزا الكباد الحجارة الكفية، وظهرت الفرسان المسمية، وتقاسمت الزهور نصفين، وكان الجوز بينهم بوجهين، وشاعت الأخبار، وتناغت الأطيار، وانفتحت عيون الأزهار، وعلق النارنج ستائر من نار، وقال الليمون: أنا أريهم النجوم بالنهار، فعند ذلك عظم الزعيق، وافترق الرفيق من الرفيق، وأنكر الأخ الأخ الشقيق، وأصبح التوت فى دمائه غريق، وسقط النارنج من علوه وانخرط، وصاح

(١) الشواليش : الأعلام.

من لونه حتى انشرط، واقبل اللوز وهو شديد القوة، عظيم المروة، وقال للورد: لا تخف ولا تفزع ،الباغى له مصرع، فاركب ولا تتمهل، واعزم وتوكل . قال: فعند ذلك ركب الجيشان وتطارقت، والتفت الأغصان وتطابقت ، وجرت القنا كالخيول وتسابقت، وشب النسيم وبان الشجاع الكريم، وانهزم العديم، فالحكم لله الصمد القديم،

ولازال الحرب والطعان، فى حومة البستان، حتى اشتهرت الفرسان، وبان الجبان، وصاح النسرين: الأمان الأمان

قال : فلما بلغ الورد أن النسرين قد ارتعد وانذهل، واصفر وجهه حياءاً وخجل، وندم على ما فعل، احمرت من الفرح وجنتاه، ثم انه ضحك حتى استلقى على قفاه، وانشد على ما أولاه:

أيا نسرين ماذا الأمر حتى ∴ فعلت بين الأسى مالا يلائق
وكان زماننا صافيً وكنا ∴ كإخوان فتحسدنا الشقائق

قال : فما استتم الورد من شعره، حتى علم النسرين بأمره، فتندت عيناه بماء الثبور، وأصبح دمعه فى الروض منثور، ثم إنه ندم على المقابحة، وأراد بهذه الأبيات المصالحة :

أيا ورد سامحنى بما قد جنيته ∴ فأنت على طول الزمان رفيقى
وإن جسدتنا فى الرياض شقائق ∴ فإنك خير من أخى وشقيقى

قال : ثم أنه ترجل بين يدى الورد وهو منكس الاعلام، متحفى الأقدام، فاعتنقه الورد وأحسن إليه، وترك إساءته عليه، ثم قال: إن فى الصبر حلاوة، ولا صلح إلا بعد عداوة.

قال : فعند ذلك حصل بينهم الإتفاق، وهب عليهم النسيم وراق،

ومالت القضب للصلح والعناق، وفرغ الحرب وانفصل، وتقطعت أشجار الكرم بالخصل، وشبت الريح بأطراف الأغصان، وصفقت حواشى الغدران، وعظمت الأفراح، وذهبت الأتراح، واحمرت وجنات التفاح، وصيغت من النوفر أقداح، ودعوا بالراح، فدارت لهم الساقية، وصارت بينهم جارية، فخفى منهم الخطاب، وطال بينهم العتاب، وانشرح كل منهم وطاب، وشقق الزهر عنه الأثواب، وغضت عيون النرجس حياءا وأداب، وجاءت لتهنئة الورد الفرسان والأصحاب، فأول من دخل عليه الزهر وهو زائد فى ابتسامه، يضحك فى أكمامه، أعلامه الخضر تخفق، وثوبه فى الحرب تشقق، وعليه من أغصانه رونق، ثم تقدم إلى الورد وسلم، وجلس بين يديه وترجم، وأنشد:

يادولة الورد أن كانت مصيبتكم ∴ هانت علىّ فلا واصلت احبابى
لو لم يكن هول ذاك اليوم روّعنى ∴ مازاد حزنى ولا شققت أثوابى

ثم انصرف.

وأقبل اللوز على جواد أخضر، وهو شايش فى العسكر يضحك ويتكسر، ففاق فى حلاوته السكر، فابتدأه الورد بمقاله، فشكره على حسن فعاله، وقال له: أعدلى الأبيات التى نشيت بها فى الحرب جنانى، حتى أمدك اليوم بإحسانى، قال: فعند ذلك دنى بقربه، وصاح من قلبه، وأنشد:

أنا اللوز مرّ فى المذاق أبو القوى ∴ ولى فى شديد المعركات عوائد
فإن خلت الفرسان عنك فإننى ∴ عليك بناموس الشجاعة عاقد

ثم أنه انصرف،

وأقبل التفاح، مخضبا بدم الكفاح، قد بان عليه النصر ولاح، ثم ترجل فى الحضرة، وتدحرج كالأكرة، وانشد يقول:

نهار المعركات بكى حسودى ∴ ورنحنى الهوى وهززت عودى
واجريت الدماء فى الأرض حتى ∴ غرقت به وأثر فى خدودى

ثم انه انصرف.

وأقبل البرقوق ولونه أحمر، وهو بتراب الحرب مغبر، وعوده محترق من الحر، وجال بينهم وتجسر، وجالسهم فى المحضر، وأنشد يقول:

نيران عشقى صيرتنى مثل ∴ الرقيق مسودا ولكنى
قاتلت باللحم فلما انتهى ∴ حالى بكم بان النوى منى

ثم انه انصرف

وأقبل السدر وهو لطيف الكون، مصفر اللون خائف من النمل إذا دب، والهوا إذا هب، حتى أقبل على الورد فسلم عليه، وتمثل بين يديه، فقال له الورد: مالى ما رأيتك يوم الحرب والمعمعة والضرب، فقال: ليس لى على الحرب قوى، وأسقط من هز الهوى، واقل من لطشة، تخرطنى بالكبشة، لكن أزبدت وازغبت ، ودعوت لك بالنصر على عاداتك، وأردت أن أموت فى حياتك، وأنشد يقول:

قلنا لجيش الورد لما بدا ∴ فى شعلة الحرب بنا رفقا
دعنا نمت تحت لواءكم ∴ ولا نعيش من بعدكم ولا نبقى

ثم انه انصرف.

وأقبل المشمش وعليه ثوب من الزمرد الأخضر، مرصع بالذهب الأصفر، وهو يمشى ويتخطر، إلى أن وصل إلى الورد فى المحضر، فسأله الورد عن حاله، وكيف أصبح فى حربه وقتاله. فقال : قد كنت قدر ما

أنا مرتين، فأصبحت على الثلثين، ولكن أنساني، فرحكم أحزاني، وانشد:

علـى أعـدائـكـم رمـانـي الـهـوى ∴ فـصـاحـت الـفـرسـان مـنـي الأمـان
لأجـل ذا أصـبـحـت مـن فـرحـتـي ∴ أخـطـر فـي ثـوب مـن الـزعـفـران

ثم انه انصرف.

وأقبلت الشامرة تمشي وتتخطر، في ثوب خز أطلس مدثر، وهي بين الغصون تتجلى، كأنها عروس في حلى، زائدة الفرح والسرور، حتى انتهت إلى سلطان الزهور، فأحسنت سلامه، وقبلت أقدامه، فقال لها الورد: أين كنت يوم الحرب عنا، لا شفقة عليك ولا حِنًّا، وأطرقت منه حياءاً وأنشدت تقول:

لـو أنـنـي فـي الـروض أدعـى بـذى ∴ شـجـاعـة والحـرب فـي قـدرتـي
جـمـحـت بـالـسـيـف نـهـار الـوغـى ∴ روس أعـدائـك مـن حـبـتـي

وصار كل غصن من الروض يأتبه، ويسلم عليه ويهُنيِّه، فشكرهم وأنصفهم غاية الإنصاف، وأمرهم بالإنصراف، وانقطع ذلك النهار بالسرور، على أنس وزهور وكاسات تدور ، ورجع كل غصن إلى حاله، واستقر النسرين أمير، والياسمين وزير، هذا ما تقدم من المفاخرة ، والحروب النايرة.

ويرجع الكلام العجيب ، المطرب الغريب، إلى ذات الجمال وبدر الكمال، ولفتة الغزال، من قطعت القلب بالنصال، واكست الجسم ثياب الانحلال، انها نزقت ذات يوم من جلوس الديار، وشرب العقار، في

الليل والنهار، فقالت لابد لى اليوم من رؤية حديقة، فى روضة أنيقة، بنسمة رقيقة، لعل ينشرح قلبى، واسمع خبر عن حبى، فاقلبت الصندوق، عن القد الممشوق، فأخجلت البدر عند الشروق، واسرعت المسير متولعه بالروض والغدير، قامت الطريق بامكان، إلى ذلك البستان، فتلاقينا تلاقى العشاق، وتعانقنا عناق المشتاق، فاردت اشكى لها ليالى الفراق، وعدم التلاق، وسهر الأحداق، بهذه الأبيات الرقاق :

أتـذكـر لـيـالـى الـبـين حـتـى ∴ يـدكـرنـى الأسـى مـمـهـا أقـول
فـكـل يـشـتـكـى مـنـا عـتـابـا ∴ لـكـم ولـهـا ولـى شـرح يـطـول

فقلت لها :دعينا ننشرح ونطيب، فى هذا الروض الخصيب، فقالت: رُبّ واشٍ أو رقيب، فوعدت بالوعيد القريب، وها أنا تحت وعدا الحبيب وبالأحسان عمت.

المناظرة الرابعة
رسالة فى تفضيل الورد على الأزهار
ورسالة ترد عليها فى تفضيل النرجس

رسالة فى تفضيل الورد على الأزهار
ورسالة ترد عليها فى تفضيل النرجس

الرسالة التى فى تفضيل الورد كتبها أبو حفص عمر بن برد الأصغر خاطب بها ابن جهور الأندلسى، ووصف فيها خمسة من الأزهار، ففضل الورد عليها، قال:

أما بعد يا سيدى ومن أنا أفديه، فإنه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين فيه، وذوى الظرف المعتنين بملح معانيه: أن صنوفا من الرياحين، وأجناسا من نوار البساتين، جمعها فى بعض الأزمنة خاطر خطر بنفوسها، وهاجس همس فى ضمائرها، لم يكن لها بد من التفاوض فيه والتحاور، والتحاكم من أجله والتناصف، وأجمعت على أن ما ثبت فى ذلك من العهد، ونفذ من الخلف، ماض على من غاب شخصه، ولم يئن منها وقته، فقام قائمها، فقال: يا معشر الشجر، وعامة الزهر، أن اللطيف الخبير الذى خلق المخلوقات وذرأ [1] البريات، باين بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين منحها وأعطياتها فجعل عبدا وملكا، وخلق قبيحا وحسنا، وفضل على بعض بعضا، حتى اعتدل بعدله الكل، واتسق [2] على لطف قدرته

---

(١) ذرأ : خلق .

(٢) اتسق : اجتمع.

الجميع، وإن لكل واحد منها جمالا فى صورته، ورقةً فى محاسنه، واعتدالا فى قده، وعبقا نسيمه، ومائية فى ديباجته، قد عطفت علينا الأعين، وثنيت إلينا الأنفس، وزهت بمحاضرنا المجالس، حتى سفرنا [١] بين الأحبة، ووصلنا أسباب القلوب، وتحملنا لطائف الرسائل، وصيغ فينا القريض، وركبت فى محاسننا الأعاريض، فطمع بنا العجب، وأزدهانا الكبر، وحملنا تفضيل من فضلنا، وإيثار من آثرنا على أن نسينا الفكر فى أمرنا، والتمهيد لعواقبنا والتطييب لأخبارنا، وادعينا الفضل بأسره، والكمال بأجمعه، ولم نعلم أن فينا من له المزية علينا، ومن هو أولى بالرآسة منا، وهو الورد الذى إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا، ولم نسبح فى بحر عمانا، ولم نمل مع هوانا دَنا له ، ودعونا إليه، فمن لقيه منا حياه بالملك، ومن لم يدرك زمن سلطانه ودولة أوانه، اعتقد ما عُقد عليه ولبى إلى ما دُعى إليه، فهو الأكرم حسبا والأشرف زمنا، إن فُقد عينُه لم يفقد أثره، أو غاب شخصه لم يغب عرفه [٢]، وهو أحمر والحمرة لون الدم، والدم صديق الروح، وهو كالياقوت المنضد، فى أطباق الزبرجد، عليها فريد العسجد، وأما الأشعار فبمحاسنه حسُنت، وباعتدال زمانه وزنت!!

وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء النوار والأزهار : النرجس الأصفر، والبنفسج، والبهار، والخيرى؛ فقال النرجس الأصفر:

والذى مهد لى فى حجر الثرى، وأرضعنى ثدى الحيا، لقد جئت بها[٣] أوضح من لبة الصباح، وأسطع من لسان المصباح، ولقد كنت أستر من التعبد له والشغف به، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه[٤]،

(١) سفر : أصلح .		(٢) العرف · الرائحة.

(٣) جئت بها أى بفضل الورد، أى أحسنت أقامة الدليل.

(٤) دون لقائه: لأنه قلما أن يجتمع النرجس والورد.

ما أنحل جسمى ، ومكن سقمى، وإذ قد أمكن البوح بالشكوى، فقد خف شغل البلوى.

ثم قام البنفسج فقال: على الخبير والله سقطت، أنا والله المتعبد له، والداعى إليه، والمشغوف به، وكفى ما بوجهى من ندب، ولكن فى التأسى بك أنس.

ثم قام البهار فقال: لا تنظرن إلى غضارة نبتى؛ ونضارة ورقى، وانظر إلى وقد صرت حدقة باهته تشير إليه، وعينا شاخصة تندى بكاء عليه:

ولولا كثرة الباكين حولى ∴ على إخوانهم لقتلت نفسى

ثم قام الخيرى فقال: والذى أعطاه الفضل دونى، ومدله بالبيعة يمينى، ما اجترأت قط إجلالا له ، واستحياء منه، على أن أتنفس نهارا، أو أساعد فى لذة صديقا ولا جارا، فلذلك جعلت الليل سترًا، واتخذت جوانحه كنًّا.

فلما استوت آراؤها قالت : إن لنا أصحابا، وأشكالا وأترابا ، لا نلتقى بها فى زمن، ولا نجاورها فى وطن، فهلم فلنكتب بذلك عقدا ينفذ على الأقاصى والأدانى.

فكتبوا رقعة نسختها: هذا ما تحالف عليه أصناف الشجر، وضروب الزهر وسميها [1] وشتويها، وربيعها وقيظيها، حيث ما نجمت من تلعة[2]، أو ربوة ، وتفتحت فى قرارة [3]أو حديقة، عندما راجعت من

---

(١) وسميها : التى سقاها الوسمى، وهو مطر الربيع الأول.

(٢) التلعة : ما ارتفع من الأرض وتردد فيه السيل، وهى مكرمة النبات.

(٣) القرارة: كل مطمئن من الأرض يندفع إليه الماء.

بصائرها، وألهمت من رشادها، واعترفت بما أسلفت من هفواتها، وأعطت للورد قيادها، وملكته أمرها، وعرفت أنه أميرها المقدم بخصاله فيها، والمؤمر بسوابقه عليها، واعتقدت له السمع والطاعة، والتزمت له الرق والعبودية، وبرئت من كل زهر نازعته نفسه المباهاة له ، والانتزاء(١) عليه في كل وطن، ومع كل زمان، فأية زهرة قص عليها لسان الأيام هذا الحلف، فلتتعرف إرشادها منه (٢)، وقوام أمرها به، ولتحمد الله كثيرا على ما هداها إليه، واستنقذها من الضلال بتبصرته، ولتشهده في اعتقادها، والله شهيد على الجميع.

شهادة النرجس :

شهد النرجس والله يرى	∴	صحة النيات منها والمرض
أن للورد عليه بيعة	∴	أكدت عقدا فما إن تُنتقض

شهادة البنفسج :

شهد البنفسج أنه	∴	للورد عبدٌ تَمَلُّك
يسعى بقلب ناصح	∴	في حبه مُسْتهلك

شهادة البهار :

شهد البهار وذو الجلالة عالم	∴	بصحيح ما يبدى وما يخفيه
أن الإمارة في الأزاهر كلها	∴	للورد لا يؤتى له بشبيه

---

(١) الانتزاء التوثب : يريد الخروج على إمارته.

(٢) الضمير للحلف والعهد المأخوذ

شهادة الخيرى :

شهد الخيرى براً صادقا ∴ قولة أبُعد عنها الدرك
أن أزهار الثرى أجمعها ∴ أعبد والورد فيها ملك

الرسالة فى تفضيل البهار «النرجس» على الورد

انبرى أبو الوليد الحميرى للرد على أبى حفص بن بُرد فى تفضيله الورد على الأزهار، فكتب رسالة طويلة يخاطب بها ذا الوزارتين القاضى، مشتملة على وصف سبعة من الأزهار، وهى البنفسج، والنرجس، والخيرى «النمام» والأقحوان، والخيرى الأصفر، والبهار «النرجس الأندلسى» والورد، وقد فضَّل البهار على الجميع.

وبدأ فقال ما معناه : أول من رأى ذلك الكتاب (١).. نواوير فصل الربيع التى هى جيرة الورد فى الوطن، وصحابته فى الزمن، فلما قرأته أنكرت ذلك وسفهت رأى من كتبه، ورأت أن تكتب إلى الأقحوان والخيرى الأصفر فى محو هذا المنكر!!

وصفوة ما كتبته : من نواوير فصل الربيع الأزهر، إلى الأقحوان والخيرى الأصفر: بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت إلينا بيعة اشترى بها من سعى فيها خسران الدنيا والآخرة.. ولو استحق الورد إمامة، أو استوجب خلافة، لبادر بها أبناؤنا، ولعقدها أوائلنا، التى لم تزل تجاوره فى مكانه، وتجئ معه فى أوانه.

ثم أحال على المبابعين باللوم والتعنيف ، لأنهم بادروا إلى مبايعة الورد

---

(١) يريد بالكتاب : كتاب البيعة للورد.

عن جهل، ولم يتثبتوا فى ذلك ولم يشاوروا أحدا، وقدموه على من هو أحق منه، هو نَوْر البهار، البادى فضله بدوّ النهار، والذى لم يزل عند علماء الشعراء، وحكماء البلغاء، مشبّها بالعيون التى لا يحول نظرها، ولا يحور (١) حورها، وأفضل تشبيه للورد : الخد، والخد ليس حاسة ، فكيف تبلغه رياسة.

ثم طلبا من الأقحوان والخيرى الأصفر: أن يبلغا النوادير التى بايعت الورد بما تورطت فيه من الخطأ، وأن يؤنبا البهار تأنيبا شديدا ـ فى سرٍّ منها ـ على تواضعه المزرى بنفسه، وسعايته فى إبطال حقه، وأنا يخبراه أن جُلَّ النواوير، وعمدة الأزاهير، تعقد اللواء له عليها جميعا.

فلما وصل الكتاب إلى من بايعوا الورد، ندموا أشد الندم واعتذروا : بأنهم لم ينعموا النظر، وكان الحزم فى التأنى، وصدق من قال : وقد يكون مع المستعجل الزلل.

ثم أعلنوا التوبة النصوح، وأقروا بالذنب، والاعتراف بمحو الاقتراف. كما صرح البهار: بأنه ما دخل معهم فيما أحدثوه، ولا تابعهم على ما صنعوه إلا حياء من تعريفهم بما لا يجعله الجاهلون ، وليس من ترك حقه ملوما، وإنما الملوم من تسوَّر على غير حقه !!

فسرَّ الخيرى والأقحوان بما بدا منهم من الإقرار بذنوبهم ، وخرجوا جميعا إلى البهار معتذرين إليه، سائلين العفو عما جنوه، فعفا وصفح.

وبعد أخذ ورد اتفقوا على كتاب مبايعة جديدة للبهار، ضمنوها نقضهم لبيعة الورد الأولى، وقد استهلوها بهذه المقدمة:

---

(١) يحور : ينقص

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب مبكِّرى الأنوار، وسابقى الأزهار، إلى من غاب عنها بشخصه، ولم يحضرها بنفسه، أما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله الا هو مستنقذنا من الفعلة القبيحة، والدنية الصريحة، التى نفذ بها كتابنا إليكم، وورد بإكمالها خطابنا عليكم، وتلك غلطة ظهرت لكم، وسقطة لم تغب عنكم، ولعمر الحق الذى إليه نرجع، وبه فى أمرنا نقطع، لقد ظهر لنا فساد ما حضضنا عليه، وقُبح ما نُدبنا إليه، بعد إنفاذه وإكماله، والتدبر لجميع أحواله، ولم نسقط الا بتعجيل التدبير، ولاخير فى الرأى القطير [1] وإذ قد اجتمع الرأى من سراتكم ومنا، وصدر الاتفاق عن كبرائكم وعنا، فهى النعمة التى بها تنتظم أمورنا ويُراعى أميرنا، وقد بايعنا البهار الباهر جماله، الظاهر كماله، على ما رضيتم به ورغبتم فيه، وقد وضعنا شهادتنا على صدق من نياتنا.

وكان كاتب الصحيفة البنفسج، فقيل له: ابدأ بشهادتك فكتب: شهادة البنفسج :

والله ما أضعف أملى، وضاعف عللى، وأوهن سوقى [2] منى، وقللنى فى كل سوق إلا الدخول فى تلك الوحول، والبعد عن الخلق الكريم، والصراط المستقيم، فى تأخير هذا الملك العظيم، الذى بتقديمه الآن، أرجو أن دائى قد لان.

أما البنفسج فهو يشهد أنه   مُتذمٌ مما جنى مُتنصِّل

---

(١) القطير : الذى لم يختمر، وهو مذموم.

(٢) سوق : جمع ساق، وساق البنفسج ضعيفة.

متبرِّىء من بيعة الورد التى ∴ لم يبر منها داؤه المتأصل
متبِّين فضل البهار، وعالم ∴ أن البهار هو المليك الأفضل

شهادة النرجس الأصفر:

تبًّا لتلك الفعلة الدميمة، والقضية الذميمة، التى جلبتنى جلباب السقم، وسربلتنى سربال الهرم، ولولا بدارى [1] إلى نسخها، وتحيُّلى فى فسخها، لذهب نفسى الأرج، الذى به أبتهج :

أشهد النرجس إشهاد مُحق ∴ أن بدر الورد فى الملك مُحِق
ورأى أن البهار المجُتلى ∴ فى سماء الحسن بالملك أحق
فمتى كذِّب قول أبدا ∴ قيل فى قولته : هذا صدق

شهادة الخيرى «النمام» :

والله ما أرَّق بصرى، وأرَّق بَشَرى [2]، وأفاض نهارا ماء بِشرى [3] وأغمد فيه سيف نشرى، إلا معصية الحق فى تلك القضية، وطاعة الهوى فى تلك الخطية، فالحمد لله الذى أحال الحالة الموبقة لى لا محالة:

أشهد الخيرى: أن الخير فى ∴ نقض ما أخطأ فيه أوَّلا
موقنا : أن البهار المرتضى ∴ بهر الأملاك حالا وحُلى
فهو للموقظ أنوار الربًّا ∴ من سِنات سنًّها فيها البلى

شهادة الأقحوان :

إن رمت أداء شكر الله على فضله المتناهى، فى استنقاذه لى من تلك

(١) البدار : المبادرة . (٢) البشر محركة : ظاهر الجلد.
(٣) البشر بكسر فسكون : الطلاقة؛ يشير إلى أنه لا تسطع رائحته إلا ليلا، وذلك من خصائص النمام.

القبيحة ، والدنية الصريحة، لم أؤد الفرض، ولااستطعت القرض (١)، فالإقرار بالعجز نهاية، والاعتراف بالقصور غاية، فاستثنائي هناك ، وسكوتي إذ ذاك أنبتا ورقي ورقا (٢)، وجعلا فلقي (٣) فلقا (٤) :

أشهد الأقحوان أن جَناه (٥) ∴ كافر بالذي سواه حناه
قائل قول من تبرأ قِدْما ∴ من هَوَى مَن قضى عليه هواه
إن نورْ الربُا عبيد وكلٌ ∴ للبهار البهِّي يقضي ولاه (٦)

شهادة الخيري الأصفر :

الحمد لله الذي عصمني من تلك الدنية، ولم يُخيِّبني عن هذه النية، وبها بقيت غضارتي، وتأكدت نضارتي، ووهب لي الذهب الإبريز (٧) مَلْبسًا، والمسك النفيس نَفَسا.

أصفر الخيري يشهد ∴ أن عَقْدَ الورد قد رُد
ويرى أن البهار الـ ∴ منتقي أعلى وأمجد
ملك يقظان يأتي ∴ وصنوف النَّور هُجَّد

ثم ختم الحميري رسالته موجها الكلام إلى ذي الوزارتين القاضي؛ فقال : هذا يا مولاي ما استطعت عليه، وانتهت مقدرتي إليه، فإن وافقك فبفضلك المشهور، أو كانت الأخرى فبالباع المنزور (٨)، ولك المنٌ على الوجهين ، والطوْل (٩) في الحالتين، أبقاك الله لأحوالنا تصلحها، ولآمالنا تُنجحها، وصنع لك، وبلغك أملك!!

---

(١) القرض : نظم الشعر . (٢) الورق : الفضة

(٣) الفلق كعب : جمع فلقة، وهي الشقة من الشيء بكسر الفاء.

(٤) الفلق كسبب : الصبح أو ما انفلق من عموده أو الفجر.

(٥) حناه : الغص الطرى منه . (٦) ولاء : يعني ولاءه.

(٧) الابريز : الخالص (٨) المنزور : القليل . (٩) الطول: الفضل.

المناظرة الخامسة
المقامة الوردية فى الرياحين والزهور

المقامة الوردية فى الرياحين والزهور

للسيوطى

للإمام جلال الدين السيوطى عدة مقامات، منها هذه المقامة المسماة المقامة الوردية فى الرياحين والزهور، وهى عبارة عن مناظرة بين الأزهار على اختلاف أشكالها وألوانها وروائحها فى موضوع «من هو أحق بالملك والسلطنة فيما بينها؟».

فتناظرت جماعة من زعماء الأزهار وهم على الترتيب :

١ ـ الورد.	٢ ـ والنرجس .	٣ ـ والياسمين.
٤ ـ والبان.	٥ ـ والنسرين .	٦ ـ والبنفسج.
٧ ـ والنيلوفر .	٨ ـ والآس .	٩ ـ والريحان.

فعرف كل منها بنفسه واشاد بمزاياه وأفضاله وخواصه، مدحضا وهادما مابناه الآخر عن المفاخر، ثم يردف بالثناء على نفسه وذم منافسيه، وقد استعان الخصوم فى المناظرة بسحر البيان، والطب والتاريخ والشعر والدين من قرآن وحديث، وأحسن كل الإحسان فى دحض حجة خصمه والكشف عن مثالبه ومدح نفسه، وهذه المقامة تعتبر فى موضوعها من المقامات الطبية.

ولما رأى كل منافس أنه أحق بالملك على سائر الأزهار والرياحين اختاروا حكما عادلا ليفصل بينهم ففاجئهم بالحكم لصالح نوع من الزهور ليس من بينهم وهو الفاغية (١) أى التمر حنا.

هكذا شاء حب السيوطى للفاغية أن يجلسها على عرش الأزهار ويحكم لها بالغلبة والسلطنة، وكان دافعه فى هذا موقفه كواحد من أبرز حفاظ الحديث الشريف والسنة النبوية بما ذكره من أحاديث نبوية فى فضل الفاغية.

الأعراض ومن جيد التشبيه قول الخوارزمى فيه :

أما ترى الزعفران الغض تحسبه ∴ جمرا بدا فى رماد الفحم مضطرما
كأنه بين أوراق تحف به ∴ طرائق الخال فى خدين قد لطما
دما عيانا ومسكا نشر رائحة ∴ فى طيبه وكذاك المسك كان دما

وأما أنت أيها «الزباد» * وأن أشتهرت فى كل ناد * بين كل حاضر وباد فلست تعد مع هؤلاء من الأقران * لأنه لم يرد ذكرك فى آية من القرآن * ولا فى حديث عن سيد ولد عدنان * لا فى الصحاح ولا فى الضعاف ولا فى الحسان * ولا فى أثر عن حد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان * فلا تتعد طورك * ولا تبعد غورك * ومتى أدعيت أنك رابعهم قيل لك اخسا * ومتى جاريتهم فى ميدان السبق فكبوا لك وتعسا * وأخرى انبئك بها من الفقهاء من قرر نجاستك * وذلك مما يسقط فى سوق الطيب نفاستك * وقصارى أمرك أنك عرق هرّ برى *

---

(١) الماغية: والفغو : نور الحماء، أو يعرس غصص الحماء مقلوبا فيثمر رهراً اطيب من الحماء، فذلك : الفاغية، وافعى خرحت فاعته. وتسمى الفاغية : التمر حنا.

أو لبن سنور بحرى * فلا نسب لك ولا حسب ولا سلف * ولا خلف*
وأنت أقل شرفا * واذل سلفا * ومتى انتتف معك من شعر اصلك ما
يجاوز حد العفو فعليك العفا * غير أنا نجبر كسرك* ونغنى فقرك * قد
رزقك الله أنواعا من المنفعه * وجعل فيك اسرارا مودعه * إذا شمك
المزكوم نفعته من الزكام * وإذا ضمخ بك الدماميل خففت عنها الآلام *
وإذا سقى منك درهم مع مثله زعفران فى مرقة دجاجة سمينه * سهلت
ولادة المرأة وحفظت الدرة الثمينه * وحرارتك فى الدرجة التالثه *
وفيك رطوبة معتدلة لمن أراد المثاقبة والمثافنة والمنافثة* ثم رأيت فى خبر
مرسل * عن أم حبيبه زوج خير مرسل * أن نسوة النجاشى اهدين لها
من الزباد الكثير * وأنها قدمت به على النبى البشير النذير * فاذن حصل
للزباد بذلك الشرف * وإرتقى إلى طبقة عالية الغرف * وصار فى أنواع
الطيب رائعا * وللأمراء الثلاثة رابعا * واستغفرَ الله مما وقع من تنقيصه *
واستعفيه من الجهل بتمييزه وتخصيصه * جعلنا الله ممن اناب إلى الحق
ورجع * واصغى إلى الصدق وخشع* واعاذنا برحمته من كل
شرك* وجنبنا كل زور وكذب وافك * وجمعنا مع عباده الابرار
والمقربين فى سلك * وجعلنا من الذين يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك *

المقامة الوردية فى الرياحين والزهور

حدثنا الريان * عن أبى الريحان * عن أبى الورد ابان * عن بلبل
الأغصان * عن ناظر الإنسان * عن كوكب البستان * عن وابل الهتان
* قال مررت يوما على حديقه * خضرة نضرة أنيقه * طلولها وديقه *

وأغصانها وريقه * وكوكبها ابدى بريقه * ذات الوان وافنان * وأكمام وأكنان * وإذا بها ازرار الأزهار مجتمعه* وأنوار الأنوار ملتمعه* وعلى منابر الأغصان أكابر الأزاهر* والصبا تضرب رؤسها من الأوراق الخضر بالمزاهر* فقلت لبعض من عبر* ألا تحدثونى ما الخبر * فقال أن عساكر الرياحين قد حضرت* وأزاهر البساتين قد نظرت لما به نضرت* واتفقت على عقد مجلس حافل* لاختيار من هو بالملك أحق وكافل * وها أكابر الأزاهر قد صعدت المنابر * ليبدى كل حجته للناظر * ويناظر بين أهل المناظر* فى أنه احق أن يلحظ بالنواظر * من بين سائر الرياحين النواضر* وأولى بان يتأمر على البوادى منها والحواضر * فجلست لاحضر فصل الخطاب* واستمع إلى ما يأتى به كل من فنون الحديث المستطاب* فهجم الورد بشوكته* ونجم من بين الرياحين معجبا باشراق صورته وافراق صولته* وقال بسم الله المعين* وبه نستعين* أنا الورد ملك الرياحين* والوارد منعشا للأرواح ومتاعا لها إلى حين * ونديم الخلفاء والسلاطين* والمرفوع أبدا على الأسرة لا اجلس على ترب ولاطين* والظاهر لونى الأحمر على أزهار البساتين* والأشرف من كل ريحان فخرا* بانى خلقت من عرق المصطفى وجبريل والبراق ليلة الاسرا* والمظفر بقوة الشوكة والصولة* والمنصور على من ناوأنى لأنى صاحب الدولة* والعزيز عند الناس* والودود بين الجلاس للايناس* والعادل فى المزاج* والصالح فى العلاج* اسكن حرارة الصفراء* وأقوى الباطن من الاعضاء* وأطيب رائحة البدن* ومن شم مائى وبه غشى أو صداع حارّ سكن* وأقوى المعد* وافتح من الكبد السدد* وانفع الاحشاء* وأقوى الاعضاء* أنا ومائى ودهنى كيف شاء* وابرد أنواع اللهيب الكائنة فى الرّاس* وربما استخرجها منه بالعطاس* واثبت اللحم فى القروح

العميقه* واقطع الثآليل [1]كلها إذا استعملت ازرارى سحيقه* وانفع من القلاع والقروح* وأنا بعطريتى ملائم لجوهر الروح* وشمى نافع من البخار* مسكن للصداع الحار* وبزرى نافع للثة الفم* وأقماعى تقطع الاسهال ونفث الدم* ومائى يسكن عن المعدة حرا* وينفع من التهاب المرة الصفراً وشرابى يطلق الطبيعة القوية* وينفع من الحميات الصفراوية* وإذا شرب مائى بالسكر الطبرزد قطع العطش من المادة* ونفع أصحاب الحمى الحادة* وإذا ضمدت العين بورقى الطرى نفع من انصباب المواد* ومطبوخى طريا ويابسا ينفع من الرمد بالضماد* ومطبوخ يابسى صالح لغلظ الجفون* ومسحوقه إذا ذر فى فراش المجدور والمحصوب نفع من العفون* ومن تجرع من مائى يسيرا* نفعه من الغشى والخفقان كثيرا* ودهنى شديد النفع للخراجات* وفيه مآرب كثيرة لذوى الحاجات* وأنا مع ذلك جلد صبار* اجرى مع الأقدار* إذا صُليتُ بالنار* وكفى رفعة على الأقران* أن لفظى مذكور فى القرآن* فى سورة الرحمن* فى قوله تعالى فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان* وقد حمانى أمير المؤمنين المتوكل كل حمى الشقائق النعمان* وهذا تقليد من الخلافة بالملك على سائر الريحان، ولى من بينهم ابن يخلفنى فى الحكم إذا غبت طول الزمان* فلهذا رفعت من أغصانى الاشائر* ودقت من داراتى البشائر* واعملت لى المشاعر* وقال فىّ الشاعر*

للورد عندى محل	لانه لا يُملّ
كل الرياحين جند	وهو الأمير الأجلّ
أن جاء عزوا وتاهوا	حتى إذا غاب ذلّوا

---

(١) الثآليل (تثالل) جسده: ظهرت عليه الثآليل. (الثُولول): حبته مستديرة مشققة فى حجم الحمصة أو دونها، تظهر على الجلد، (ج) ثآليل.

وقال الآخر

مـليـك الـورد اقـبـل فـي جـيـوش ... مـن الازهـار فـى حـلـل بـهـيـه
فـوافـتـه الازهـار طـائـعـات ... لان الـورد شـوكـتـه قـويـه

فقام النرجس على ساق* ورمى الورد منه بالاحداق* وقال لقد تجاوزت الحد يا ورد* وزعمت انك جمع فى فرد* أن اعتقدت ان لك بحمرتك فخره* فإنها منك فجره* قال النبى ﷺ ان الشيطان يحب الحمرة فاياكم والحمره* وكل ثوب ذى شهره* وان قلت انك النافع فى العلاج* فكم لك فى منهاج الطب من هاج* ألست الضار للمزكوم* المعطس للمحرور الدماغ عند المشموم* المضعف للباه* النائم بلا انتباه* أتغتر ببردك القشيب* وأنت الجالب للمشيب* فاحفظ بالصمت حرمتك* والا اكسر بقائم سيفى شوكتك* ويكفيك* قول ابن الرومى فيك*

يا مادح الورد لا ينفك من غلطه ∴ ألست تبصره فى كف ملتقطه
كـأنـه سـرم بـغـل حـين سـكـرجـه ∴ عند البزار وباقى الروث فى وسطه

ولكن أنا القائم لله فى الدياجى على ساقى * الساهر طول الليل فى عبادة ربى فلا تطرف احداقى* وأنا مع ذلك المعد للحروب* المدعو عند تزاحم الكروب* ألا ترى وسطى لا يزال مشددا* وسيفى لا يبرح مجردا* وأنا فريد الزمان* فى المحاسن والاحسان* ولهذا قال فىّ كسرى أنو شروان* النرجس ياقوت اصفر* بين دُرٍّ ابيض على زمرد أخضر* وأنا المشبه به عيون الملاح* والمعروف فى مهمات الأدواء بالصلاح* انفع غاية النفع* من داء الثعلب والصرع* وقد روى فىّ حديث راويه غير

مقل ولامفلس* شموا النرجس فإن فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الاشم النرجس* وفى أصلى قوة تلحم الجراحات العظيمه* وتنفع ذكر العنين وتجيد تقويمه* وشمى ينفع من وجع الرأس والزكام البارد* وفىّ تحليل قوى لمن هو له قاصد* ودهنى نافع لاوجاع العصب والارحام* وأوجاع المثانة والأذن والصلب من الأورام* ولولا اشتهارى بالنفع من الجوى* ما أكثر النحاة التمثيل بقولهم نرجس الدواء* ومن الدليل على صلاحى* أن أبا نواس غفر له بابيات قالها فى امتداحى*

تأمل فى رياض الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات	باحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات	بان الله ليس له شريك

ولقد أحسن ابن الرومى حيث قال * مبينا فضلى عليك بكل حال*

ايها المحتج للورد بزور ومحال
ذهب النرحس بالفضل فانصف فى المقال
لا تقاس الاعين النحل باسرام البغال

فقام « الياسمين »* وقال امنت برب العالمين* لقد تجبست ياجبس* واكثرك رجس نجس* وأنت قليل الحرمه* واسمك مشمول بالعجمه* وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط فى الخدمه* رأسك لا يزال منكوس* وانت المهيج للقئ المصدع من المحرورين للرؤس* تسقط الجنين* ولا ترثى للعنين* اصفر من غير عله* مكسو احقر حله* ويكفيك* قول بعض واصفيك*

اری النرجس الغض الزکی مشمرا ... علی ساقه فی خدمة الورد قائم
وقد ذل حتی ان من فوق رأسه ... عمائم فیها للیهود علائم

ولکن انازین الریاض* والموسوم فی الوجه بالبیاض* والبیاض شطر الحسن کما ورد* وأنا الطف ورد جاء وردّ* وجاء ذکری فی حدیث فاح بنشره* ان قارئ القرآن یؤتی بیاسمین الجنة فی قبره* فحدیثی أصدق من حدیثك سندا* ونشری اعبق من نشرك صباحا وندا* فانا احق بالملك منك منصورا ومؤیدا* وأنا النافع من أمراض العصب البارده* والملطف للرطوبات الجامده* والصالح للمشایخ القاعده* انفع من اللقوة والشقیقة والزکام* ومن وجع الرأس البلغمی والسوداوی واقطع نزف الارحام* ودهنی نافع من الفالج ووجع المفاصل* ویحلل الاعیاء ویجلب العرق الفاضل* یقول لی لسان الحال لست الهزیل مقاما یاسمین* ویشهد لی لسان الالثغ بانی الدر الغالی إذا قال یاثمین

أنا الیاسمین الذی ... لَطُفت فنلتُ المنی
فریحی لمن قد نأی ... وعینی إلی من دنا
وقد شرفت حضرتی ... بصبری علی من جنی

فقام «البان»* وابدی غایة الغضب وابان* وقال لقد تعدیت یا یاسمین طورك* وابعدت فی المدی غورك* وکونك اضعف الکون* وکثرة شمك تصفر اللون* وإذا سحق منك الیابس ورضّ* وذُرّ علی الشعر الأسود أبیضّ* وإذا قسم اسمك قسمین* صار ما بین یاس ومین* وأن ذکرت نفعك* فانت کما قیل لا تساوی جمعك* ولقد صدق القائل* من الأوائل*

لا مـرحـبـا بـالـيـاسـمـين | وان غـدا فـى الـروض زيـنـا
صـحـبـتـه فـوجـدتـه | مـتـقـابـلا يـاسـا ومـيـنـا

ولكن أنا ذو الاسمين* والظافر من الأصل والفرع بالقسمين* والقريب من الباز* والمضروب بقدى المثل فى الاهتزاز* ازهارى عاليه* وأدهانى غاليه* وقد ألبست خلعة السنجاب* واتفق على فضلى الأنجاب* انفع بالشم من مزاجه حار* وارطب دماغه واسكن صداعه الكائن عن البخار* ودهنى نافع لموضع كل وجع بارد* وتحت ذلك صور كثيرة الموارد* من الرأس والاذن والضرس وفقار المفلوج والمجدور* والمعدة والكبد والطحال وكل عصب بالصلابة مقصور* ويكفى فى وردى * قول ابن الوردى*

تجـادلـنـا أمـاء الـزهـر اذكـى | ام الخـلاف[1] أم ورد القـطـاف
وعقـبـى ذلـك الجدل اصطلحنا | وقـد وقـع الـوفـاق عـلـى الخلاف

فقام « النسرين » * بين القائمين* منتصرا لاخيه الياسمين* وقال أتتعدى يابان على شقيقى* وأين الفرا من المذهب والدبيقى* وكيف يفاخر البلور* من هو مشبه بذنب السنور* ألم يعرفك الحال* قول من قال

لـلـه بـسـتـان حـلـلـنـا دوحـه | فـى جنـة قـد فـتـحـت أبـوابـهـا
والـبـان تحـسـبـه سـنـانـيـرا رأت | بـعـض الـكـلاب فـفـشـت اذنـابـهـا

ولكن أنا زين البستان* وفىّ من الفضة والذهب لونان* انفع من أورام الحلق واللوزتين ووجع الاسنان* ومن برد العصب والدوى والطنين

[1] الخلاف اسم آخر للبان.

فى الآذان* وافتح ما يسد به المنخران* واقتل الديدان* واسكن القىء والفواق* واقوى القلب والدماغ على الاطلاق* واحلل الرياح من الصدر والرأس* واخرجها منه بالعطاس* وينتفع بى أصحاب المرة السوداء غاية الانتفاع* والبرّىّ منى إذا لطخ به الجبهة سكن الصداع* وإذا تدلك فى الحمام بما منى انسحق* طيب رائحة البشرة والعرق* وإذا شرب من مجففى نصف مثقال* منع اسراع الشيب على التوال* ودهنى يحلل أوجاع الارحام الكائنة عن داء* وينفع من الشوصة العارضة من سوء المزاج والبلغم والمرة السوداء* ويكفيك من المعانى* قول من عنانى*

ما احسن النسرين عندى وما	املحه مذ كان فى عينى
وهو إذا ما أنا صحفته	وحدته بشرى ويسرين

فقام «البنفسج» وقد التهب* ولاحت عليه زرقة الغضب* وقال أيها النسرين* لست عندنا من المعدودين* ولا فى العلاج من المحمودين* لانك حار يابس انما توافق المرودين* ولا تصلح الا للمشايخ المبلغمين* وانت كثير الاذاعة فلست على حفظ الاسرار بامين* ويعجبنى ما قاله فيك بعض المتقدمين*

ولم انس قول الورد لا تركنوا إلى *	معاهدة النسرين فهو يمين
ألا تنظروا منه بنانا مخضبا*	وليس لمخضوب البنان يمين

ولكن أنا اللطيف الذات* البديع الصفات* المشبه بزرق اليواقيت* واعناق الفواخيت* ومزاجى رطب بارد* ومنافعى كثيرة الموارد* أولد دما فى غاية الاعتدال* وانفع الحار من الرمد والسعال* واسكن الصداع

الصفراوى والدموى لمن شم أو ضمد* والين الصدر وانفع من التهاب المعد* وانفع من ورم العين وكل ورم حار ومن نتو المقعدة إذا تضمد بى على التكرار* وشرابى لذات الجنب والرئة والكلى* وللسعال والشوصة ويدر البول محللا* ويابسى يستعمل للصفراء فيسهل غاية الاسهال* والمربى منى بالسكر يلين الحلق والبطن وينفع السعال* وورقى طلاء جيد للجرب الصفراوى والدموى* وزهرى ينفع من التزلات الصدرية والزكام القوى* وإذا شرب بالماء نفع من أم الصبيان وهو الخناق* أو سفه من به اطلاق صفراوى لذاع احدر بقية الخلط وقطع الأطلاق* وكفانى شرفا بين الاخوان* ماروى عن سيد ولد عدنان* ان دهنى سيد الادهان* بارد فى الصيف حار فى الشتاء فهو صالح فى كل الأزمان* وذلك لانه يسكن القلق* وينوم أصحاب الارق* وينفع مع المصطكى من الورم الصفراوى بين اصابع الاسنان* ويجذب الصداع من الرأس إذا دهن به الرجلان* ويلين صلابة المفاصل والعصب* وهو طلاء جيد للجرب* ويعدل الحرارة التى لم تتعدل* ويسهل حركة المفاصل فتتسهل* وينفع سعوطا من الصداع الحار* ويحفظ طلاء صحة الاظفار* وينفع من الحرارة والحرقة التى تكون فى الجسد* ويصلح من الشعر المنتثر دهنا ما فسد* وإذا قطر فى الاحليل سكن حرقته وحرقة المثانة* وينفع من يبس الحياشيم فجل الخالق البارى سبحانه* وإذا تحسى منه فى الحمام وزن درهمين* نفع من ضيق النفس على الريق بلا مين* وإذا دخل فيه شمع مقصور أبيض ودهن به صدور الاطفال* نفعهم منفعة قوية من السعال* وروى ابن أبى حاتم وغيره عن الأمام الشافعى صاحب المذهب* إنه قال لم أر للوباء انفع من البنفسج يدهن به ويشرب* ومنافعى لا تحصى* وما أودعه خالقى فىّ لا يستقصى* وبى تعطر الجيوب* ويشبه عذار المحبوب* وأنا مع ذلك حسن الفال* بديع الجمال* من رآنى آذن بالانشراح* وتفاءل بالانفساح* اما سمعت قول من باح وصاح*

يـا مـهـديـا لـي بـنـفـسـجـا ارحـا | يـرتـاح صـدرى لـه ويـنـشـرح
بـشـرنـى عـاجـلا مـصـحـفـه | بـان ضـيـق الامـور يـنـفـسـح

فقام «النيلوفر» على ساق* وحشد الجيوش وساق* وانشد بعد اطراق*

بـنـفـسـج الـروض تـاه عـجـبـا | وقـال طـيـبـى لـلـمـحـو ضـمـخ
فـاقـبـل الـزهـر فـى احـتـمـال | والـبـان مـن غـيـظـه تـنـفـخ

ثم قال أيها البنفسج باى شىء تدعى الاماره* وتطاوع نفسك والنفس اماره* وأكثر ما عندك انك تشبه بالعذار وبالنار فى الكبريت* وحاصل هذين يرجع إلى اشنع صيت* وما من نفع ذكرته عنك الا وأنا أفعل مثله وأكثر* وأنا احرى بسلامة العاقبة منك واجدر* من شرب اليابس منك ولّده قبضا على القلب* وربا فى معدته وامعائه واحدث له الكرب* وانحلالك بطئ الماده* لا سيما لمن به حمى حاده* ومرباك يسقط الشهوه* ويرخى المعدة عن القوة* وقد كفانا الورد مؤنة الرد عليك* وحذرنا من القرب منك والاصغاء إليك * فقال

أعـلـىّ يـفـتـخـر الـبـنـفـسـج جـاهـلا | وإلـىّ يـعـزى كـل فـضـل يـبـهـر
وانـا المحـبـب لـلـقـلـوب زمـانـه | وبمـقـدمـى أهـل المسـرة تـفـخـر

وقال الحاكى* عن الورد الباكى

عـايـنـت ورد الـروض يـلـطـم خـده | ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تـقـربـوه وان تـضـوع نـشـره | مـا بـيـنـكـم فـهـو الـعـدو الأزرق

ولكن انا اللطيف الغواص* الكثير الخواص* اسكن الصداع الحار* واذهب بالارق والاسهار* وشرابى شديد الاطفاء* بعيد عن الاستحالة إلى الصفراء* صالح لاصحاب الحميات الحادة* نافع من السعال والشوصة ويبس المادة* ويشرب للاحلام لمن اراد اسكانه* وبزرى واصلى نافعان لوجع المثانة* وأنا أشد من البنفسج ترطيبا* وابعد عن ضرره بالمعدة وادنى إليها طيبا* وما أحسن ما قال فىّ * بعض واصفىّ*

يرتاح للنيلوفر القلب الذى	لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد اصبح فى الروائح عبده	والنرجس المسكى خادم عبده
ياحسنه فى بركة قد اصبحت	محشوة مسكا تشاب بنده

ومنى صنف يقال له « البشنين »* يشابهنى فى التكوين لا فى التلوين* يحدث عند اطباق النيل* وله فى منافع الطب تنويل* دهنه محمود فى البرسام* إذا تسعط به ذووا الاسقام* واصله « البيارون » يزيد فى الباه الكثير* ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير* وقد انشد فيه* من اراد أن يوصله حقه فى التشبيه*

وبركة بغدير الماء قد طمحت	بها عيون من البشنين قد فتحت
كأنها وهى تزهو فى جوانبها	مثل السماء وفيها انجم سبحت

فقام « الآس » وقد استعد* وقال لقد تجاوزت يانيلوفر الحد* ألست المضعف للباه* الجالب للإنسان صفة الشيخوخة فى صباه* ترخى الذكر وتجمد المنى* وتنغص على المتزوجين عيشهم الهنى* ولقد عرفك* من قال حين وصفك*

ونيلوفر ابدى لنا باطناً له ... مع الطاهر المخضر حمرة عندم
فشبهته لما قصدت هجاءه ... بكاسات حجام بها لوثة الدم

ولكن أنا أحق بالملك بالحجة المبينة* فقد اخرج ابن أبى حاتم وابن السنى عن ابن عباس أول شيء غرس نوح الآس حين خرج من السفينه* وهذه حجة على الاستحقاق قويه* لأن للأولية نوعا من الأولويه* ثم يعتضد هذا القياس* ما اخرج ابن السنى وأبو نعيم عن ابن عباس* قال اهبط آدم من الجنة بسيد ريحان الدنيا الآس* وهذا نص فى المراد قاطع للالتباس* وأنا المقوى للأبدان* الحابس للاسهال والعرق وكل سيلان* المنشف للرطوبات المانع من الصنان* المسكن للأورام والحمرة والشرى والصداع والسعال والخفقان* إذا دق ورقى الغض وضرب بالخل ووضع على الرأس قطع الرعاف* وحبى يقطع العطش والقيء وينفع إذا تدخنت به المرأة من الانزاف* ورمادى يدخل فى أدوية الظفره* ودهنى لحرق النار وشقاق المعدة والبتره* وليس فى الاشربة ما يعقل وينفع السعال والرئة غير شرابى * وإذا اتخذ من قضبانى حلقة وادخل فيها الخنصر سكنت ورم الارابى* وأنا الباقى على طول الزمان* وقد قال فيّ بعض الاعيان*

الآس سيد انوار الرياحين ... فى كل وقت وحين فى البساتين
يبقى على الدهر لا تبلى نضارته ... من المصيف ولا من برد كانون

وقال آخر

للآس فضل بقائه ووفائه ∴ ودوام منظره على الاوقات
قامت على اغصانه ورقاته ∴ كنصول نبل حئن مؤتلفات

فقام «الريحان» وقال يا آس* لاجرحنك جرحا ماله من آس* ألم يرد فيك من طرق الائمة الاعلام* عن النبى عليه أفضل الصلاة والسلام* أنه نهى عن التخلل بك والاستياك لانك تسقى وتحرك عروق الجذام*

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

وأنا الوارد فيّ عليكم بالمرزنجوش فشموه فانه جيد للخشام* والمؤذن لاصحاب الأرق بالنيام* والنافع من الماليخوليا واللقوة وسيلان اللعاب وبرد الاحشاء* ومن عسر البول والمغص وابتداء الاستسقاء* ومن الأوجاع العارضة من البرد والرطوبة واجفف رطوبة المعدة والامعاء* واحلل النفخ وافتح السدد* وادر الطمث وانفع من لسعة العقرب لمن بالخل ضمد* ودهنى لما يعرض فى الرحم من الاختناق والانضمام والانقلاب* ويدخل فى ضمادات الفالج الذى يعرض فيه ميل الرقبة إلى خلف وفى تشنج الاعصاب* ويسكن وجع الظهر والاربيه* ويخرج المشيمة وناهيك بها تبرئه* ومع هذا فانا المنوه باسمى فى القرآن* فى قوله تعالى فروح وريحان* وأن كان الجنس فى الآية هو المراد* فقد قصر هذا الاسم عليّ العرف قصر إفراد* وقد ورد فى الصحيحين عن سيد بنى كنانه* مثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانه* وحسبك منى فى التشبيه* قول من قال على البديه*

أما ترى الريحان اهدى لنا حماحما منه فاحيانا

تحسبه فى طله والندا زمردا يحمل مرجانا

فعطف عليه الآس وقال يا ريحان أتريد أن تسود* وأنت مشبه بهامات العبيد السود* ألم يغنك عن مقصورى* قول الشهاب المنصورى*

اهلا وسهلا برياحيننا	كأنها هامات تكروری

وقول الآخر

وريحان تميس به غصون	يطيب بشمه لثم الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز	وقد قاموا مكاشيف الرؤس

«قال الراوى» فلما ابدى كل ما لديه* وقال وردّ عليه* اتفق رأى الناظرين* وأهل الحل والعقد من الحاضرين* على أن يجعلوا بينهم حكما عادلا* يكون لقطع النزاع بينهم فاصلا* فقصدوا رجلا عالما بالاصول والفروع* حافظا للآثار الموقوف منها والمرفوع* عارفا بالانساب* مميزا بين الاسماء والألقاب* والاتباع والأصحاب* مديد الباع* بسيط اليدين فى معرفة الخلاف والاجماع* خبيرا بمباحث الجدل* بصيرا باستخراج مسالك العلل* متبحرا فى علوم اللغة والاعراب* متضلعا بعلوم البلاغة والخطاب* محيطا بفنون البديع* حافظا للشواهد الشعرية التى هى ابهى من زهر الربيع* سديد الرمية شديد الاصابه* إذا فوق لفنى الشعر والكتابه* الشعر والنظم صوغ بيانه* والنثر والانشاء طوع بنانه* والتاريخ الذى هو فضيلة غيره فضلة ديوانه* فلما مثلوا بين يديه* ووقعت عينهم عليه* قالوا يافريد الأرض* يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض* إنّا اخصام بغى بعضنا على بعض* فانظر فى حالنا ليكون ذلك ذخيرة لك يوم العرض* واحكم بيننا بالحق* واقض لأينا بالملك احق* فقال أيها الأزهار انى لست كالذى تحاكم إليه العنب والرطب* ولا الذى تقاضى إليه المشمش والتوت ولا التين والعنب* أنى لا أقبل الرشا* ولا اطوى علي الغل الحشا* ولا اميل

مع صاحب رشوه* ولا استحل من مال المسلمين حسوه* إنما احكم بما ثبت فى السنة* ولا اسلك الا طريقا موصلا إلى الجنة* فقصوا على الخبر* لأ عرف من فجر منكم وبرّ* فلما قص عليه كل قوله* وابدى هينه وهوله* قال ليس احد منكم مستحقا عندى للملك* ولا صالحا للانخراط فى هذا السلك* ولكن الملك الاكبر* والسيد الابر* وصاحب المنبر* ذو النشر الاعطر* والقدر الاخطر* السيد الأيد* الصالح الجيد* من شاع فضله وانتشر* وكان احب الرياحين إلى سيد البشر* واشتمل على ما فى الرياحين من الحسنى وزياده* وحكم له النبى ﷺ بالسياده* وشهد له بها وناهيك منه بالشهاده* فقالوا أيها الامام* اوضح لنا هذا الكلام* وارولنا ما ورد عن النبى عليه السلام* لنبلغ من اتباعه غاية المرام* ونقطع الملام* فقال روى الطبرانى والبيهقى وابن السنى وأبو نعيم وغيرهم بالاسانيد العاليه* من حديث بريدة عن النبى ﷺ صلاة متتالية* انه قال سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغيه* وروى الطبرانى من حديث عبدالله ابن عمرو مرفوعا* سيد ريحان أهل الجنة الفاغية وكفى بذلك سطوعا* وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن انس بن مالك* قال كان احب الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية وناهيك بذلك وهذا وفيه منافع للمعالج* من أوجاع العصب والتمدد والفالج* ومن الصداع وأوجاع الجنب والطحال* وإذا جعل فى ثياب الصوف منع السوس من فسادها بكل حال* ودهنه يلين العصب* ويحلل الاعياء والنصب* ويوافق الخناق وكسر العظام* والشوصة وأوجاع الارحام* وما يعرض فى الاربية من حار الأورام* ويقوى الشعور ويزينها* ويكسبها حمرة [illegible] ويحسنها* وحناؤه المسحوق* ينفع من الأورام الحارة والبلغم [illegible] العروق* وينفع من القروح والقلاع ومواضع

حرق النار* ومن شرب ماء نقعت فيه حسن ما تعفن منه من الاظفار* ونفعه من ابتداء الجذام إذا ادمنه بالادهان* وإذا خضب بها رجل المجدور حصل لها منه الامان* وإذا ضمد بها الجبهة والصدغ منع انصباب المواد إلى العين* وإذا شرب بزرها بمثقال من العسل نفع الدماغ بلا رين* وقد روى الترمذى وأبو نعيم عن سلمى قالت ما كان برسول الله ﷺ قرحة ولا نكتة إلا امرنى أن اضع عليها الحناء* وروى البزار وابن السنى عن أبى هريرة قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى صدع فيغلف رأسه بالحناء* وروى البزار حديث اختضبوا بالحناء فانه يزيد فى شبابكم ونكاحكم يعنى الوقاع* وروى ابن السنى حديث عليكم بسيد الخضاب الحناء يطيب البشرة ويزيد فى الجماع* والاحاديث فى الحث على صبغ الشعر به كثيره* وعلى خضاب ايدى النساء به شهيره* وأنا القائل فيه* لأوصله حقه وأوفيه*

كأنما دوحة الحناء إذ فتحت ... انوارها وبدت فى عين مرتقب

عروس حسن تجلت فى غلائلها ... خضرا وقد حليت باللؤلؤ الرطب

قال فلما سمعت الرياحين هذه الاحاديث فى فضله اطرقوا رؤسهم خاشعين* وظلت اعناقهم لها خاضعين* ودخلوا تحت امره سامعين طائعين* ومدوا ايديهم له مبايعين بالأمرة ومتابعين* وقالوا لقد كنا قبل فى غفلة من هذا انا كنا ظالمين* وتواصوا على اشاعة ما فضله الله به «وقالوا لانكتم شهادة الله انا إذا لمن الآثمين» [1]* «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» [2]*

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٦ . (٢) سورة الزمر الآية ٧٥.

المناظرة السادسة

الورد يفوز فى المفاخرة على الأزهار

الورد يفوز فى المفاخرة على الأزهار (*)

لبعض أدباء اصفهان رسالة مطولة وصف فيها الرياض والرياحين، وفضل الورد على جميعها، بعد أن أنطق كل منها بما شاء من ألوان الفخار في محلس حاشد، تمت فيه الغلبة لأسطعها حجة، وأوضحها محجة، وأحدها لسانا، وأخلبها بيانا!!

وقد فتح باب المفاخرة بالمنثور فقال:

ونثر منثوره ياقوتا ودرا وزمردا، وجمع ضدين من بَرْد برَد، وتوقد جـذا[1]، فشمخ بالمناكب، على الكواكب ، وتاه بالضوج [2] عـلـى الأوج، وطاول بالآكام، عُلا الركام [3].

فهناك برز النرجس من بين الرياحين، وقال: الصمت لايحمد فى كل حين، ومن لـم يفصح بتعريف نفسه، وتفضيل يومه على أمسه، فهو مغبون فى جنسه. أنا حدق الحدائق، ونزهة الرامق، أخطر بين حسد زبرجدى، وفرع كافورى وعسجدى، إلىّ يُنسب حسن العيون، وعندى يوجد ضعف الجفون.

(*) نقلنا هذه المناظرة بتعليقاتها عن المرحوم الشاعر على الجندى

(١) الجذا بالكسر والضم: جمع جذوة.

(٢) الضوج بفتح فسكون معطف الوادى. (٣) الركام السحاب المتراكم

تـنـافـس فـيَّ نـفـوس الـكـرام .·. إذا مـا أديـرت كـئـوس المـدام
فـأسـبـى الجـلـيـس إذا مـاحـضـرت .·. بـلـحـظ الـفـتـاة وقـدّ الـغـلام

فأيقظ لمباهلته الأقحوان، فقال: الآن أن ظهورى وحان؛ ماهذه المعجرفة والتباهى؟ لقد نطقت بعجائب النواهى، وتالله ما صدقت سن بكرك [١] ولا امتاز عُرفك من نُكرك؛ فبم تتيه على أقرانك، وتتكبر على سُجَرائك [٢] وأخدانك؟ أنسيت تنكيس رأسك بين الندماء، وإمساك رمقك ببلة من الماء؟ وأنك لاتبيت إلا موثقًا محبوسًا، ولا تُشَمّ إلا صاغرا منكوسا، ولا تستخدم الا قائما، وياسوء يومك إذا أصبحت نائما، ألا عطفت عليّ جيد الالتفات، وأشرت إلى بأحسن الصفات؛ فقلت: لله درك من زهر كملت محاسنه، وصفا من غدير آسنه، وتبسم عن مؤشر[٣] الثغور، وجمع فرعه بين لونى التبر والكافور، فتتوج بالتيجان المشرقه، المرصعة بخلاصة النضار والرقة [٤]، ألم تعلم أنى فوز المغانى، ونزهة الرانى ، ومباسم الغوانى؟ لا يُحكم لشاعر بالإحسان، أو ينسب إليّ حسن ثغور الحسان؟!

أنـا زهـر الـربـا ونـور الـريـاض .·. وعـيـون تـرنـو بـغـيـرا اغـتـمـاض
لـن تـرانـى إلا بـشـاطـى غـديـر .·. بـاسـمـا أو مـضـاحـكـا الحـيـاض

---

(١) يريد: لم تصدقنى الحديث؛ وأصله أن رجلا ساوم فى بكر - وهو ولد الناقة، أو الفتى منها - فسأله عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشترى : صدقنى سن بكره فذهبت مثلا.

(٢) السجراء : الأخلاء الأوفياء، واحده: سجير كأمير.

(٣) المؤشر بالتشديد: المحدد المحزز خلقة وصنعة وبعد من الجمال.

(٤) الرقة بوزن زنة: الفضة.

فشق الشقيق عن زفير ووجيب، ولدغه بحُمة [1] لسان مجيب، وقال: لقد تجاوزت بنفسك مدى الحد، وضربت فى افتخارك بكهام[2]، فليل الحد؛ أليس ندى الكلّ يزينك، وإغبابه يشينك؟ ومتى نضب غديرك ، بدأ تغييرك: ما أراك بغير مضاهاة الثغور تفتخر، فهل هى على الحقيقة إلا عظم نخر؟ بل أنا نزهة الناظر، وبغية الحاضر [3]، جسدى من قضبان الياقوت، وفرعى من المسك المفتوت:

أفـوق إذا مِـسْـت بـين الـريـا ∴ ض زهوا على مائسات القدود
وأفـضـل لـونـا وحـسـنـا إذا ∴ حضرتُ على حسن لون الخدود

فمالت إليه الخزامى، وكادت تميل به جذابا والتزاما؛ وقالت: أسمع جَعْجعةً ولا أرى طحنا [4]، وقمقعة ولا أنظر إلا شَنّا [5]، لقد ارتكبت جللا، واستغزرت غَللا [6]؛ ما أقبح عاقبة العجل، وأقرب الواثق [7] من الخجل! حتّام تُنبض [8] ولا ترمى، وإلام تومض ولا تهمى؟ أبكُمْتة لونك تفتخر، وبعظم كونك تشمخر، ألست الخشن الجلدة، الدموىّ البُرْدة، البعيد عن محل التقريب والشمّ، الطريد عن رتبة التقبيل والفم، لكن أن الملَبس المشار إليه، والعطر المنصوص عليه، مُدحت بالطيب واللون، وتُخيِّرت للتسربل والصون، وجُمِّعتْ منى الحللَ، وتُوِّجت منّى الكلِلَ.

---

(1) الحمة بالضم: السم أو الابرة يضرب بها ويلدغ الزنبار والحية ونحو ذلك.

(2) الكهام بالفتح : الكليل.

(3) الحاضر: ضد البادى.

(4) الطحن بالكسر : الدقيق

(5) الشن بالفتح: القربة البالية.

(6) الغلل محركة : الماء القليل ليست له جرية.

(7) أى المعتد بنفسه.

(8) الإنباض: جذب وتر القوس لترن

فضَلت على زهر الربيع برتبة | بها صدق الراوون للشعر إذ قالوا
كأنَّ الخزامى جُمِّعت لك حُلَّةً | عليك بها فى الطيب واللون سربال

فأنهضت لمعارضتها البنفسج، وألجم جواد مناضلتها وأسرج، وقال: يا ساكنة الشهباء (١)، لقد جئت بالداهية الدهياء، أضبْح (٢) الثعالب، وإرسال الأرانب، ما يغنى عنك وصف الشعراء، وأنت منبوذة بالعراء، بعُدت عن محاسن أخلاق البرية، وقربت من مراتع البهائم البَرِّية، وحرِمْت برد نسيم العراق، وضعفتْ ساقك عن حمل ساق (٣)؛ إنما أنا نزهة الأمصار، ومَسرَّة الأبصار، وطيب النفوس، وربيب الكئوس، المحمول على الرءوس، المحبوب إلى الرئيس والمرءوس؛ ذو العِرْق الزكى، والعَرْف المسكى:

رئيس الرياحين المضيف بلونه | جمالا إلى ورد الخدود المضرَّج
إذا ماجنان الأرض بالنَّوْر زُخرفت | فتعريفها (٤) من طيب زهر البنفسج

فغضب لذلك جورىُّ الورد، ووثب لو استطاع وثبة الورد (٥)؛ ثم قال: أركزًا (٦) كأحاديث الضُّبُع، وزمجرة كزمجرة السَّبُع؟ ذهب بك الشتاء وبرده، وشُغل عنك الربيع ووردُه، أطعت هوى النفس الأمارة، ونطقت بحضرة الإمارة؛ وأنت لا تنقضى ساعتك حتى تربدَّ، ولا ينصرم يومك حتى تذبُل وتسودَّ، ثم تستحيل أوراقك (٧)، وتشعَث قمتك(١)،

(١) الشهباء : الأرض التى لا خضرة فيها لقلة المطر، والخزامى تنبت فى الرمل.
(٢) الضبح، والضباح بالضم :صوت الثعالب.
(٣) أى لا تستطيع حمل إنسان يرقاها.
(٤) تعريفها : تطييبها.
(٥) الورد : الأسد.
(٦) الركز بكسر الراء: الصوت الخفى.
(٧) الوراق بالفتح: الشارة والهيئة.
(٨) تشعث : تعر رأسك.

وتـنـزُرَ (١) قيمتك . أتراك لولا قرص الخدود، هل كنت فى الألوان بمعدود؟ . أما علمت أنى مدعوٌ بالأمير المقدم، والميمون المقدام؟ أنا الزائر فى كل عام، القادم بمسرة الخاص والعام، لا تشرْف الأيام إلا باسمى، ولا تفتخر الأجسام إلا بمشابهة جسمى، فبى يُفْتَن النظر، وأنا السيد المنتَظر.

وإذا انقضت مدتى، وقضيتْ عدّتى، أقْصدتنى حَنيَّة (٢) الفُرقة بسهام الفرَق، واستولى على والى الحُرَق (٣)، فولّد تلهبى رَشْحا من العرق، قام لهم مَقامى، وساوى عندهم بين رحلتى ومُقامى، يُعرِّض كل وقت بذكرى، ويُعرّف لديهم نكرى، ويجدد عندهم شكرى:

أخلِّف نفسى عندهم بعد رحلتى ... فسيان قربى إن تأملتَ والبعد
وقد فُضِّل الكِندى بى عند قوله ... فإنك ماء الورد إن ذهب الورد (٤)

وتمتاز هذه الرسالة مما قبلها من النثر الذى ورد فى ذلك: أن فيها تقصيا واستيعابا لمحاسن كل زهر، ومعايبه.

ثم أكثر ما جاء فيها يعد مبتكراً طريفًا، فلم يعمد صاحبها إلى حل الأبيات المأثورة، وأخذ الكلمات المرددَّة، وتأليف موضوع منها، فلا يكون عمله إلا وضع حروف الربط كما فعل سابقوه.

وقد امتد بصاحبها نفَس القول، وأسلس له الكلام، وطاعت له

---

(١) تنزر : تقل . (٢) الحنية كغنية : القوس.

(٣) والى الحرق، يريد به . من يستقطر ماء الورد.

(٤) الكندى : المتنبى، يريد قوله فى المدح:

فإن يك سيار بن مكرم انقضى ... فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

وقد عد من قلائد أبياته.

المعانى، فتمكن أن يصوغ من ذلك موضوعا طريفا أشبه شيء بالقصة أو المقامة.

والشعر الذى تخلل النثر جاء مناسبا لموضعه غير قلق ولا مضطرب، وهو إلى ذلك جيد الحوك، حسن المعنى.

ومع أنه التزم السجع فقد جاء سجعه محكما فى الجملة غير متهافت ولا متكلف إلا فى القليل، والسجع فى هذه المواضع لا بأس به، لأنها موضوعات تلائم الأساليب الشعرية التى يعد السجع غير غريب عنها.

المناظرة السابعة
تفضيل المرسين على سائر الرياحين

تفضيل المرسين (١) على سائر الرياحين !

وفى كشف الأسرار، عن حكم الطيور والأزهار لابن غانم المقدسى كلام نفيس صرّفه بين النسيم، والورد، والمرسين، والنرجس، والبان، والبنفسج، والخُزام والشقيق، والسحاب والهَزار، والباز، والحمام، والخُطاف (٢) والبوم، والدّرة (٣)، والديك، والبط، والنحل، والشمع، والغراب، والهدهد، والكلب، والحَمل، والفرس، ودودة القز، والعنكبوت، والنملة، والعنقاء.

وقد أنطق كل واحد من هؤلاء بلسان الحال؛ لذلك سمى أقوالها : إشارات فإشارة الورد إلخ.

وسنكتفى من ذلك بما يتصل بموضوعنا من إشارات الأزهار :

---

(١) المرسين بفتح الميم : الآس، وهو ضرب من الريحان، قال صاحب التاج : هو ريحان القبور : والآس نوعان : برى وبستانى، والبرى هو الذى يسمى بدمشق. قف وانظر سمى بذلك لحسنه، وورقه يشبه ورق البستانى إلا أنه أعرض منه، وطرفه محدد يشبه سنان الرمح.

واليونان تسمى الآس؛ مرسينى، وتسميه العامة؛ المرسين.

(٢) الخطاف بضم الخاء وتشديد الطاء؛ ما يسمى بطير الجنة.

(٣) الدرة : الببغاء.

إشارة الورد :

قال المقدسي : ثم سمعت الشحارير بأفنانها، والأزاهير في تلون ألوانها؛ إذ قام الورد يخبر عن طيب وروده، ويعرّف بعَرْفه عن شهوده ، ويقول:

أنا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف، أزور زيارة الطيف، فاغتنموا وقتى فالوقت سيف.. فأنا الزائر وأنت المزور، والطمع فى بقائى زور.

ثم من علامة الدهر المكدور، والعيش الممرور: أننى حيث مانبتُّ؛ دوائر الأشواك تزاحمنى وتجاورنى، فأنا بين الأدغال مطروح، وبنبال شوكى مجروح، وهذا دمى على ما عندى يلوح، فهذا حالى وأنا أشرف الورّاد، وألطف الأوراد، فمن الذى سَلم من الأنكاد؟ ومن صبر على مرارة الدنيا فقد بلغ المراد.

فبينما أنا أرْفل فى حلل النضارة، إذ اقتطفتنى أيدى النظارة، فأسلمتنى من بين الأزاهير، إلى ضيق القوارير، فيذاب جسدى، وتحرق كبدى، ويُمزّق جلدى ويقطر دمعى النّدى، فلا يقوم بأودى:

فإن غبتُ جسما كنت بالروح حاضرا	فقربى سواء ـ إن تأملت ـ والبعد
ولله من أضحى من الناس قائلا:	فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

إشارة المرسين :

فلما سمع المرسين كلام الورد، قال: قد باح النسيم بسره، ونشر السحاب عقودُ دّره، وتضوع البهار بذخره، وتبهرج الربيع بقلائد فخره،

وخلع الوردِ عذاره، وسحب عن الروض الأنيق أزهاره، فقم بنا نتفرج، ونتيه بحسننا ونتبهرج، فأيام السرورُ تختلس، وأوقاته بأسرها تحتبس.

فلما سمع الورد كلام المرسين، قال له : يا أمير الرياحين، بئس ما قلت!

. . . فقد نزلت عن شيم الأمراء، بعدم تأملك الصواب من الآراء، فمن المصيب إذا زللت، ومن الهادى إذا ضللت، تأمر باللهو عندك، وتحرض على النُّزَه جندك، وأمير الرعية، صاحب الفكرة الرَّدية!

فلا يعجبك حسنك، إذا تمايل غصنك. . . فأيام الشباب سريعة الزوال، دارسة الطِّلال، كالطيف الطارق، والخيال المارق، وكذلك الشباب أخضر الجلباب والثياب، مختلف الأجناس، كاختلاف الحيوان بين الناس؛ فمنها ما يشم ويذبل، ويُحوَّل خطابه وينقل، وتطرقه حوادث الأيام، ويعود مطروحا على الأكوام، ومنها ما يؤكل ثماره، وتوجد فى الناس آثاره، والسالم من النار أقله وإياك والاغترار، فى هذه الدار، فإنما أنت فريسة لأسد الحِمام، وبعد فقد نصحتك والسلام!!

إشارة النرجس :

فأجابه النرجس من خاطره، وهو ناظر لمناظره، فقال: أنا رقيب القوم وشاهدهم، وسميرهم ومنادمهم، وسيد القوم خادمهم، أعلِّم من له همة، كيف تكون شروط الخدمة. أشد للخدمة وسَطى، وأوثِّق بالعزيمة شرطى، ولا أزال واقفا على قدم، وكذلك وظيفة من خدم. لا أجلس بين جلاسى، ولا أرفع إلى النديم راسى، ولا أمنع الطالب طيب أنفاسى،

ولست لعهد من وصلني ناسي ولا على من قطعني قاسي. وكاسي بصفوه لي كاسي. بنى على قضب الزمرد أساسي وجعل من اللجين والعسجد لباسي. أتلمح تقصيرى، فأطرق إطراق الخجل، وأفكر في مصيرى فأحدِّق لهجوم الأجل، فإطراقي اعتراف بتقصيرى، وإطلاقي نظر إلى ما فيه مصيرى.

قـمـت مـن ذل عـلـى قـدمـى	مـطـرقـا بـالـرأس مـن زلَـلـى
لـم يـكـن فـى الـقـادمـين غـداً	نـافـعـى عـلـمـى ولا عـمـلـى
مـقـلـتـى إنـسـانـهـا أبـداً	قـط لا يـرتـد مـن وجَـلـى
عـجـلا فـى خـيـفـة وكـذا	خُـلـق الإنـسـانُ مـن عـجـل

والإشارات كلها مفرغة في قوالب مسجوعة محكمة، وقد حوت معارف شتى وحكما بالغة، وأمثالا شاردة، وأبياتا مرصوفة، ويشوبها جميعًا روح الزهد والنُّسك ، وقمع الشهوات،والاعتبار بما يجرى على الكائنات، من حوادث وملمات. فهي في مجموعها كلمات وعظية؛ تذكر بعظمة الخالق وسلطانه وجبروته، ودوام بقائه، وبضعف المخلوق وغروره، واستطالته، ونسيانه مصيره المحتوم، والموت عليه يحوم!

ومما يسترعي النظر: أن الورد في التحدث عن نفسه يسيل كلامه أسى ولوعة، وشكوى مرة، وينضج باسترحام رقيق مؤثر مما يناله على أيدى مستقطريه من الآلام والأوجاع !! وذهاب نضرته وزوال بهجته.

ولهذا لا نستغرب منه أن يتواضع بل يتضع للمرسين إلى الغاية التى ليس وراءها غاية: فيخاطبة بأمير الرياحين، وأمير الرعية، ويُصفيه الحب الخالص ويمحِّضه نصيحة المشفق؛ لأن المخلوق في حال المحنة، تصفو نفسه من الأكدار ويتسامَى على المقاصد المادية، ويخلص من حمأة الحسد

والحقد والبغض، فيُنصف من نفسه، ويعرف قدر غيره، ويتواضع لإخوانه، ويؤثرهم بما يحب، ويتمنى لهم من السعادة والخير ما يتمناه لنفسه!!

وقد استطاع المقدسى أن يُنطق أبطال مقامته بما يحسنه كل منهم، وبما هو به إليق وأشبه، وأن يربط بين هؤلاء الأمشاج من المخلوقات، ويجمعهم فى صعيد واحد، مع ما بين أكثرهم من التنافر والتناكر الطبيعى!! فأحسن وأجاد وأفاد.

وهكذا لم يقنع هؤلاء الشعراء والأدباء بتشخيص الأزهار والأنوار؛ فعمدوا إلى إيقاظ الفتنة النائمة بينها، وأذكوا جذوة الشحناء الهامدة فى جُنوبها؛ فإذا هذه المخلوقات اللطيفة الرقيقة، البريئة المبرأة من مثالب الإنسان، وأحقاده ونوازعه وشهواته السفلى، بعضها لبعض عدو؛ فتتهاجى وتتخاصم، وتتقاطع وتتدابر، وتتناكر وتتنافر.

وقد يصل الأمر بالحرب الباردة بينها أن تصير حربا ساخنة!! وهؤلاء الشعراء وقوف على كثَب منها؛ يقيدون كلماتها، ويحصون إشاراتها، ويسجلون حركاتها وسكناتها، ويدّونون مشاعرها، ويصورون عواطفها، فى انبساطها وانقباضها، وسرورها وحزنها، ورجائها ويأسها، ونصرها وهزيمتها، فسبحان من خلق الإنسان وعلمه البيان!!

الفهـرس